

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الإجتماعية من خلال كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة

للقاضي أبي زكريا يحي بن موسى المعيلي المازوني (ت 883 ه)

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب :

شعوة علي

الإشراف :

د. مختار حساني

السنة لجامعية

2007/2006

مقدمة

إن موضوع الدراسة هو الحياة الاجتماعية من كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،لأبي

زكريا

يحي المازوني ،وذلك أن الدولة الزيانية ،خلال القرن التاسع الهجري /**15**م ،عرفت تحولات

حسب أراء المؤرخون، حيث بدأ عصر الانحطاط الحضاري في المغرب الإسلامي.

ويتجلى هذا في عدم الاستقرار السياسي، مما أثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية،

وبالتالي انتقال مركز القوة من المغرب الإسلامي إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض ا لمتوسط ،

أي أوربا، وهو ما يعرف بالنهضة الأوربية.

والأسباب التي أدت إلى ذلك حسب رأي المؤرخون الأوروبيون ،هو الغزو الهلالي وانتشارهم في

كثير من جهات المغرب الأوسط ،والذي كان له جانب سلبي فقط حسب رأيهم وساهم في عدم

الاستقرار الاجتماعي وانتشار الفوضى.

إلا أن هذا الرأي يتغاضى عن الجانب الايجابي وهو انتشار العربية ، أن هؤلاء العرب سرعان ما

اندمجوا مع السكان البربر الأصليين عن طريق التزاوج، وبالتالي ثبتوا عن طريق الاستقرار

وكسبوا نمط معيشة البربر من التحضر.

كما ساعد هذا الاستقرار على استعراب القبائل البربرية. والإشكال الذي يمكن أن نطرحه على

أنفسنا ،ماهي أهم المظاهر والمميزات الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الزياني في

القرن التاسع الهجري ؟

وماهي أهم التحديات التي كانت تواجه المجتمع ،وتقف كحجر عثرة أمام تطوره بشكل صحيح؟

إن أسباب اختيار الموضوع ،ألا وهو الحياة الاجتماعية من خلال نوازل المازوني فهي

كمايلي:

إن الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع تطرقت إلى جانب من الجوانب الحياة الاجتماعية

وأهملت

جوانب أخرى ذات أهمية بالغة .

بالإضافة إلى هذا أن فترة القرن التاسع الهجري /**15**م لم تحضي بالدراسة الكافية من الناحية

الاجتماعية هذا إذا استثنينا دراسة الأستاذ الدكتور مختار حساني، في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه

دولة في موضوع الدولة الزيانية خلال خمسين سنة الأخيرة من عمر الدولة.

وكما نلمس من خلال موضوع الدراسة أن الباحث أدرك أهمية النوازل في سد الفراغ حول

المعلومات ،فكانت رسالته أول محاولة جادة في الاستفادة من النوازل قدر الإمكان .

وبالتالي جاءت الدراسة متكاملة ومتجانسة ،وهي لبنة هامة في تطوير البحث العلمي المتخصص.

وكما تعرض لدراسة النوازل ،ولو بشكل خاطف كل من الأستاذ الدكتور بلغيث محمد الأمين في

موضوع دراسته حول مدرسة مازونة الفقهية في مجلة الدراسات الإسلامية العدد واحد.

كما تعرض الدكتور أبو القاسم سعد ا لدراسة النوازل مثل كتاب الدرر المكنونة وكتاب ابن قنفذ

القسنطيني،وذلك بشكل سريع .

إضافة إلى ماسبق ،فقد تعرض الطالب غرداوي نور الدين لدراسة النوازل من خلال مذكرته حول

الناحية الاقتصادية والثقافية.

إضافة إلى ما سبق، هناك أسباب أخرى لاختيار الموضوع، ومنها أهمية الموضوع من حيث دراسة تطور المجتمع ونموه بشكل صحيح ،ومدى وعي وثقافة المجتمع المحلية ،وقيامه بدور رائد في سبيل رقيه.

إلى جانب هذا نقص الدراسات العلمية في مجال الحياة الاجتماعية، وبالتالي قمنا بهذه الدراسة القيمة حتى نغطي الفراغ والفجوات الموجودة، خاصة وان هذه الفترة من القرن التاسع الهجري غير مدروسة بشكل كافي.

كذلك تعتبر الفترة التي بصدد البحث وهي القرن التاسع الهجري /**15**م،وهي فترة التحولات الكبرى في المغرب الإسلامي ،وخاصة في المغرب الأوسط.

وبالتالي تعتبر الفترة التي بصدد البحث ،مهمة في الكشف عن أهم التحديات والأسباب التي أدت إلى التقهقر الحضاري، في وقت تغيرت أسباب الحضارة إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط واعتمدنا في دراستنا هذه مجموعة من المصادر والمراجع، ومن أهم المصادر نذكر كتاب المقدمة(**1**) ، الذي أفادنا بالخصوص في دراستنا عن الصوفية، بحيث أعطى لنا تعريف دقيق للتصوف.

1- عبد الرحمان ابن خلدون،المقدمة ،بدون طبعة ،طبع مصر ،بدون تاريخ

إلى جانب هذا اعتمدنا على كتب التراجم مثل البستان في ذكرالاولياءو علماء بتلمسان لابن مريم المديوني(**1**) ،بحيث أفادنا في التعريف بأهم الشخصيات والعلماء الذين احتك بهم المازوني ،واستطعنا من توضيح بعض الحقائق عن حياة المازوني ،عند مقارنتنا لهذه الشخصيات الذين احتك بهم لمازوني .

كما اعتمدنا على كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق لأبي عبد ا شريف الإدريسي(**2**)،حيث اعتمدنا عليه في التعريف بمدينة مازونة ،وهو كتاب قيم وجليل.

وكذلك كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان(**3**) وقد عرفنا بمدينة مازونة أيضا في الفترة الزمنية التي هي محل الدراسة، وتطرقنا لأهم الفئات الاجتماعية التي كانت سائدة، مثل بني هلال امتدداهم ،وهو كتاب مهم لأنه معاصر للأحداث .

إضافة إلى ماسبق كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،لأحمد المقري التلمساني(**4**) وهو كتاب التراجم ،حيث ساعدنا في التعريف بالمازوني ومدينة مازوني .

1- ابن مريم المديوني ،البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان،بدون طبعة ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون تاريخ

2-أبي عبد ا الشريف الإدريسي ،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،تحقيق إسماعيل العربي ،ط**1**،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،**1983**

3-الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر ،القسم الثاني،ط**2**،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،**1983**

4-احمد بن المقري التلمساني ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،التحقيق الدكتور إحسان عباس

،المجلد الثاني ،ط**1**،دار الغرب صادر،بيروت ،**1997**

ولم نتوقف عند هذا بل رجعنا إلى كتاب الرحلة المغربية للعبد ري، وذلك في التعريف بالحياة

الثقافية ، وهو كتاب الرحلات، بحيث استطاع أن يوصف لنا بدقة بعض المدن المغربية، وحتى

نبين العلاقة بين بداية الدولة الزيانية ونهايتها.

وضمن مصادر الدراسة كتاب العبر العبر لعبد الرحمن ابن خلدون، والذي أفادنا في التعريف

بالقبائل البربرية ومضاربها.

وقد قسمنا بحثنا إلى أربعة فصول مع الملاحق والفهارس أما الفصل الأول ،فهو عبارة عن فصل

تمهيدي ،بحيث عرفنا بالمازوني وثم كتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،ثم التعريف بمدينة

مازونة.

كما أدرجنا في هذا الفصل لمحة عن الأوضاع السياسية والثقافية، وذلك لارتباط الحياة الاجتماعية

بالمجريات السياسية، وكان لعدم الاستقرار دور كبير في المجتمع واستقراره.

أما الحياة الثقافية، فقد كانت ميزة بارزة في القرن التاسع الهجري، ولذلك خصصنا عنصر هام لذلك

كما تطرقنا في نهاية الفصل إلى عنصر جدا، له ارتباط وثيق بالمجتمع والدين، ألا وهو التصوف.

أما الفصل الثاني فيتناول الفئات الاجتماعية ومظاهرها، مثل سكان المدينة وعلاقتهم بسكان الريف.

كما يتعرض لأهم الأمراض الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك مثل الانحلال الخلقي وضعف

الوازع

الديني وانتشار الرشوة والمحاباة في الزكاة وانعدام الأمن وفساد الحكم .

ثم تناولنا عناصر السكان من حيث الجنس ونوعه، أو من حيث الطبقات الاجتماعية مثل طبقة

الفقهاء والقضاة والمرابطين وطبقة الشرفاء وثم العبيد واليهود.

وفي الفصل الثالث تعرضنا إلى الحياة الأسرية وأشكال من التضامن بين أفراد المجتمع وبدأنا الفصل بالزواج واهم مراحله، من خطبة والصداق والعقد والجهاز والخلوة والعرس، وفي الأخير تطرقنا للزواج المختلط واهم مشاكله.

وبعد ذلك تطرقنا للطلاق واهم أسباب الطلاق، وثم الطلاق وأنواعه.

كما تناولنا الأسرة العلاقة بين إفرادها واهم المشاكل العائلية، وثم أهم الأعمال ونشاطات المرأة في الأسرة وبيتها.

وتناولنا أيضا في هذا الفصل إلى الزي التقليدي ووسائل الزينة في الأسرة ،والروابط الاجتماعية السائدة في المجتمع .وفي الأخير الفصل الرابع، خصصناه للشعائر الدينية من صلاة وصيام وزكاة والتضامن الاجتماعي ودور الزاوية فيه رضنا إلى القضاء والقضاة واختصاصاتهما، بالإضافة إلى الشهود والتوثيق لأمر ما.

وفي الأخير أضفنا عنصرا أخر، وهو تجهيزات البيت وملحقاته والعمارة، واهم المراكز العمرانية.

أما أهم المشاكل التي اعترضت البحث هي:

1-صعوبة الحصول على المصادر الأساسية ،خاصة في المكتبات الكبرى فهي مصادر مفقودة .

2-ضعف الإمكانيات المادية ،والتي حالت دون القيام برحلات إلى خزائن المخطوطات وأسفار .

3-استعمال المازوني للغة العامية في بعض الأحيان ،والتي كانت متداولة في ذلك الوقت.

ولقد اتبعنا في بحثنا منهج الوصف والتحليل والنقد.

الفصل الأول

1 تعريف المازوني :

هو يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني القاضي الإمام العلامة الفقهي (1) , ومن بين الذين ترجموا له الإمام الونشريسي (2) ، الذي وصفه بقوله : «الفقيه الشيخ القاضي العالم المفيد الجامع الشامل الحافظ الحافل الكامل المشار إليه في سماء المعالي بالأنامل الصدر الأوحد العلامة العلم الفضال[كذ.]ذي الخلال السنية وسني الخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا ومولانا وبركة بلادنا أبي زكرياء سيدي يحي إبن الشيخ الفقيه الإمام علم الأعلام أبي عمران سيدي موسى» (3).

وهذا الإجلال والتكريم الذي وصف به الونشريسي أستاذه وشيخه المازوني يتبين لنا من خلال النص ، أن فيه نوع من المبالغة والمجاملة في نفس الوقت، وهو يبين لنا مدى تقدير الونشريسي لشيخه المازوني ، وهذا لا ينفى مدى الشهرة التي نالها هذا العالم الكبير خاصة وأن مؤلفه المسمى الدرر المكنونة في نوازل مازوني» وهو تأليف جليل ، بحيث يعتبر من أهم المؤلفات في هذا العصر.

كما أن عائلة المازوني من أهم العائلات العلمية في مازونة، فوالده وجده من بيت علم ساهما في التكوين الشخصي والعلمي للمازوني، كما وصفه عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر ا

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، الطبعة الجديدة ، فاس ، المملكة المغربية ص: 393،

(2) الونشريسي : هو أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي ولد حوالي 834 هـ و توفي سنة 913 هـ /1508 م و له كتاب مشهور و هو "المعيار" أنظر تعريف الونشريسي في الملاحق.

(3) الأستاذ المهدي البوعبدلي ، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام

العام " هو العلامة المتشرع الفقيه الضليع والحقوقي البارع الإمام أبو بكر زكريا يحي ابـن العـالم الجليل المؤلف أبي عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (1)، ويضيف عليه أنه « كان إمام المحققين ومرجع أهل الشورى في الإحكام الشرعية وغيرها، معتمدا في مذهب مالك حاملا لواءه بالمغرب في عصره ، مطلعا على دقائق المسائل وفتاوى العلماء فيها من تأليف كتابه المشهور باسـم الدرر المكنونة في نوازل مازونه» (2)

أ – مـ ـولده:

« ولد ونشأ في مازونة»(3)، وقد سبق وأن ذكرنا أن المازوني حاملا لواء المـذهب المـالكي فـي المغـرب ، إلا أن هـذه العبـارة منسـوبة لـلإمـام الونشريسـي ولـيس للمـازوني. أما عن تاريخ مولده فهو غير معروف بالتحديد ، فكل المصادر التي بحوزتنا عند تطرقهـا لحيـاة المازوني لم تذكر تاريخ ولادته (4) إلا انه يمكن تقدير وترجيح الفترة التي ولد فيها فيما بين أواخر القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري / ق15 م.

---

(1) - عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج2، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1994 ، ص : 226

(2) – المرجع نفسه ، ص 226

(3) – الحاج محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية بدون طبعـة ، بـن عكنون1995 ص 437

(4) - أنظر إلى كتاب نيل الابتهاج للتنبكي ، وتعريف الخاف لرجال السلف للحفناوي ومعجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض

نسبـــه :

كما أطلق عليه المغيلي، وذلك نسبة إلى قبيلة مغيلة الزناتية ، ومضاربها حول مدينة مازونة ونواحي مدينة تلمسان ومدينة تيهرت .

إلا أننا لا نستطيع أن نؤكد بشكل جازم بانتساب المازوني إلى هذه القبيلة ، لأنه قد يكون أنتسب إليها بمجرد الانتساب المكاني لا الانتساب الحقيقي

تكـــوينـــه العلمي:

درس على والده» (1) المبادئ الأولى« ثم انتقل إلى تلمسان واخذ بها عن أبن مرزوق الحفيد وقاسم العقبانئي وغيرهما» (2). مع العلم أن انتقاله إلى تلمسان كان قبل 842 هـ ،لأن شيخه الحفيد ابن مرزوق توفي في هذه السنة ، ويعتبر من ابرز الشيوخ الذين درس واخذ عنهم المازوني (3),

كما اخذ المازوني عن «إبن زاغوا وإبن العباس » (4) .

---

(1) – الحاج محمد بن رمضان شاوش باقة السوسان ص 437

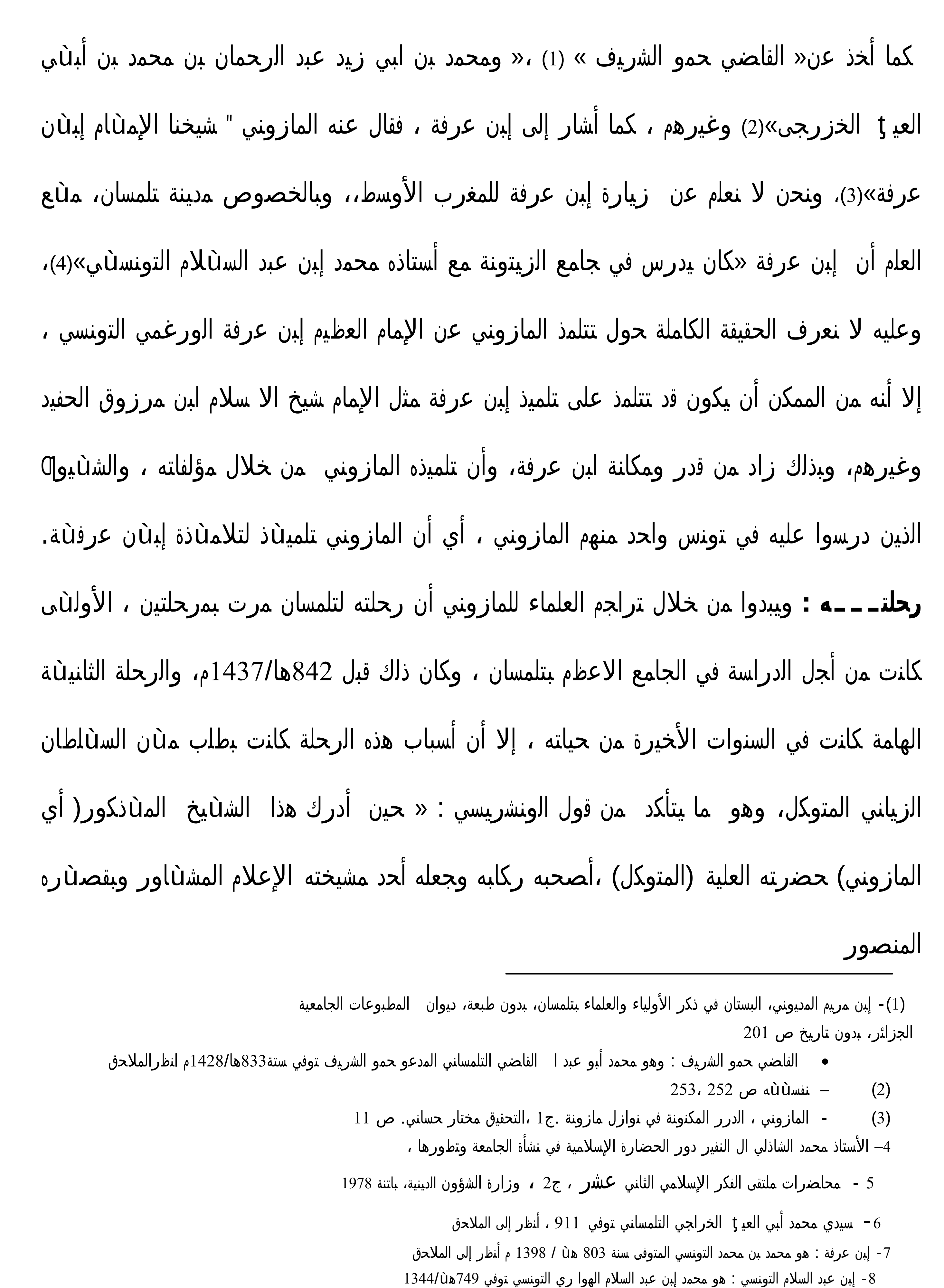
(2) - المرجع نفسه ص 437

- إبن مرزوق الحفيد : هو أبو عبد ا بن أحمد بن مرزوق العجيسي المعروف بالحفيد توفي 842ها
- قاسم العقباني: هو أبو الفضل أبو القاسم بن سعد العقباني توفي : 854 هـ / 1449 م

(3) - أحمد بابا التنبكي ، نيل الابتهاج، ص 393. وانظر كذلك في كتاب تاريخ الجزائر العام ، لعبد الرحمان، ج 2، ص: 213.214.215

- إبن زاغوا : وأحمد بن محمد بن زاغوا المغراوي ، توفي بتلمسان سنة 845هـ/1440 م
- إبن العباس هو محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس توفي 871 هـ /1466م

(4) - أحمد بابا التنبكي ، نيل الابتهاج ، ص 393



كما أخذ عن« القاضي حمو الشريف » (1) ،« ومحمد بن ابي زيد عبد الرحمان بن محمد بن أبي العيش الخزرجى»(2) وغيرهم ، كما أشار إلى إبن عرفة ، فقال عنه المازوني " شيخنا الإمام إبن عرفة»(3)، ونحن لا نعلم عن زيارة إبن عرفة للمغرب الأوسط،، وبالخصوص مدينة تلمسان، مع العلم أن إبن عرفة «كان يدرس في جامع الزيتونة مع أستاذه محمد إبن عبد السلام التونسي»(4)، وعليه لا نعرف الحقيقة الكاملة حول تتلمذ المازوني عن الإمام العظيم إبن عرفة الورغمي التونسي ، إلا أنه من الممكن أن يكون قد تتلمذ على تلميذ إبن عرفة مثل الإمام شيخ الا سلام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم، وبذلك زاد من قدر ومكانة ابن عرفة، وأن تلميذه المازوني من خلال مؤلفاته ، والشيوخ الذين درسوا عليه في تونس واحد منهم المازوني ، أي أن المازوني تلميذ لتلامذة إبن عرفة.

رحلته : ويبدوا من خلال تراجم العلماء للمازوني أن رحلته لتلمسان مرت بمرحلتين ، الأولى كانت من أجل الدراسة في الجامع الاعظم بتلمسان ، وكان ذلك قبل 842ها/1437م، والرحلة الثانية الهامة كانت في السنوات الأخيرة من حياته ، إلا أن أسباب هذه الرحلة كانت بطلب من السلطان الزياني المتوكل، وهو ما يتأكد من قول الونشريسي : « حين أدرك هذا الشيخ المذكور(أي المازوني) حضرته العلية (المتوكل) ،أصحبه ركابه وجعله أحد مشيخته الإعلام المشاور وبقصاره المنصور

---

(1)- إبن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، بدون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، بدون تاريخ ص 201

- القاضي حمو الشريف : وهو محمد أبو عبد ا القاضي التلمساني المدعو حمو الشريف توفي سنة833ها/1428م انظرالملاحق

(2) – نفسه ص 252 ،253

(3) - المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة .ج1 ،التحقيق مختار حساني. ص 11

4– الأستاذ محمد الشاذلي ال النيفر دور الحضارة الإسلامية في نشأة الجامعة وتطورها ،

5 - محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر ، ج2 ، وزارة الشؤون الدينية، باتنة 1978

6- سيدي محمد أبي العيش الخراجي التلمساني توفي 911 ، أنظر إلى الملاحق

7- إبن عرفة : هو محمد بن محمد التونسي المتوفى سنة 803 ه / 1398 م أنظر إلى الملاحق

8- إبن عبد السلام التونسي : هو محمد إبن عبد السلام الهوا ري التونسي توفي 749ه/1344

وعلى بابه ، وها هو الآن بها يقري ويفيد ويبدي ويقيـد ، أبقـاه ا للمسـلمين والإسـلام أسوة»(1) .

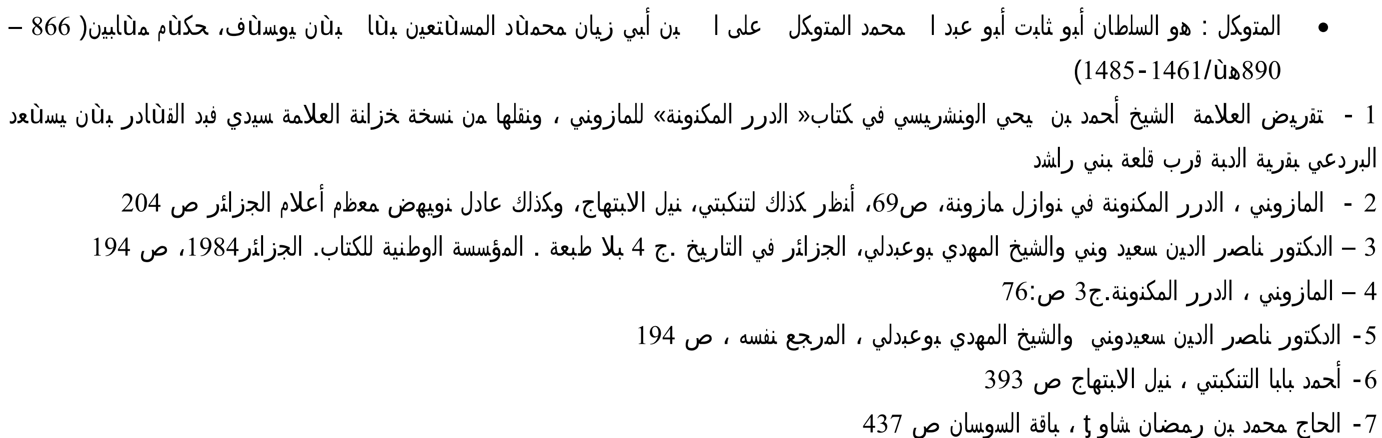
ومنه يكون المازوني قد رحل إلى تلمسان بشكل نهائي في المرة الأخيرة، وبقي فيها بقيـة حياتـه، وكان ذلك قبل سنة871 هـ/1466م، لأن الونشريسي كتب التقريض في هذه السنة. ومن الـنص السابق ندرك الأسباب الحقيقية التي دفعت المازوني إلى الانتقال إلى تلمسان، وذلـك أن السـلطان المتوكل استدعائه إلى تلمسان ، وذلك بأن جعله مستشار ومفتي القصر.

أما أهم المناصب التي تولاها قبل انتقاله إلى تلمسان ، فقد تولى قضاء مازونة ، وهذا ماقاله قاسـم العقباني في رده على أحد المسائل عن النوازل بقوله« وقد جرت عادتي في التوقف عن الفتوة الآتية من مازونة ، وتكون الاستشارة منكم(أي المازوني) بأن لا يظن بكم أنكـم ممـن لايحتـاج إلـى الاستشارة في غالب الأحكام»(2). وكان ذلك في عهد أبي حمو موسى الثاني »(3).

كما انه تولى قضاء تنس ، وذلك لقول المازوني :« سألت شيخنا وسيدنا أبا الفضل قاسم العقبـاني وقلت له ياسيدي نريد الجواب الشافي في مسالتي وذلك أني توليت قضاء تنس"(4).

"ثم تولى قضاء مستغانم ، وهذا ما ذكره حفيده الشيخ محمد الصادق بن الخميسـي والـذي تعـرض للتعريف بالمازوني وهو جده الثامن»(5).

وتوفي المازوني عام 883هـ/1478 م بتلمسان (6) ، وقبره بها مشهور بحارة الرحيبة قرب بـاب الجياد الحالي (7) ومن بين الذين اهتموا بنوازل المازوني المؤرخ جاك بيرك، الـذي خصـص دراسة قيمة لسلسلة محاضرات، نشر بعض فصولها في مجلة الحوليات بباريس .



- المتوكل : هو السلطان أبو ثابت أبو عبد ا محمد المتوكل على ا بن أبي زيان محمـد المسـتعين بـا بـن يوسـف، حكـم مـابين(866 – 890هـ/1461-1485)

1 - تقريض العلامة الشيخ أحمد بن يحي الونشريسي في كتاب« الدرر المكنونة» للمازوني ، ونقلها من نسخة خزانة العلامة سيدي فبد القـادر بـن يسـعد البردعي بقرية الدبة قرب قلعة بني راشد

2 - المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ص69، أنظر كذلك لتنكبتي، نيل الابتهاج، وكذلك عادل نويهض معظم أعلام الجزائر ص 204

3 – الدكتور ناصر الدين سعيد وني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ .ج 4 بلا طبعة . المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر1984، ص 194

4 – المازوني ، الدرر المكنونة.ج3 ص:76

5- الدكتور ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي ، المرجع نفسه ، ص 194

6- أحمد بابا التنكبتي ، نيل الابتهاج ص 393

7- الحاج محمد بن رمضان شاو ţ ، باقة السوسان ص 437

2 - **التعريف بمدينة مازونة :**

الموقع : تعتبر مدينة مازونة مدينة داخلية« وكـان اختطـاط هـذه المدينـة قبـل سـنة 565هـ/1170م، ولقد اشتهرت هذه المدينة بحسن الموقع وجماله ، وعذوبة المـاء وطيـب التربة وخصوبة المكان وانتشار العمران ، وسميت كذلك باسم إحدى فروع القبيلة مغراوة»(1).

ونـلاحظ من خلال الخريطة الطبيعية أن مازونة تحتل موقع إستراتيجي لأنهـا تـربط بـين مناطق الشرق والغرب ، مثل تنس ومستغانم وتلمسان وغيرها من المدن ، كما أنهـا كانـت محطة عبور التجار والرحالة وطلبة العلم والعلماء.

وصفها الإدريسي فقال«ومدينة بين جبال في أسفل خندق ، ولها أنهار ومساكنها مونقـة[....]، وهي أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبا»(2) و«أن مدينة مازونة حجرية».(3)

ويتعرض صاحب الاستبصار لتعريف مازونة فيقول:"أن لها انهار ومزارع وأسواق ،ومساكن مونقة وسوقها يوم معلوم يجتمع إليه أصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن ،والعسـل كثير بها ، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبا (4).

ومنه نلاحظ من خلال النص أن ارض مازونة خصبة وبها عمارة وتجارة رائجة ، وهي غنية بالمنتجات الزراعية كما يبدو من النص.

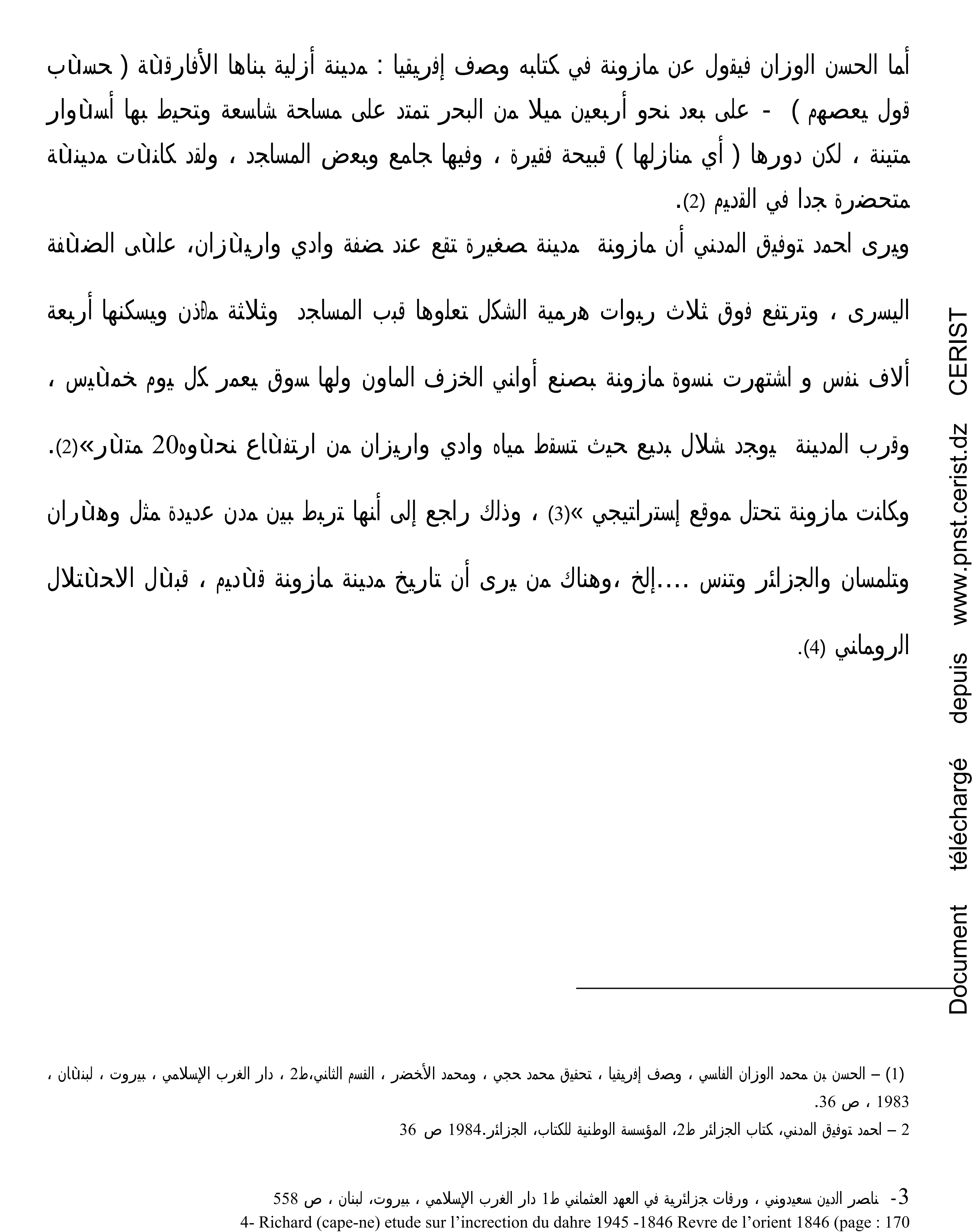
- مغراواة: وكانت أوسع بطون زناتة ، وكانت مواطينهم من شلف إلى تلمسان على جبل مديونة وما إليها (عن غبن خلدون كتـاب العبـر،ج7 ، ص :35)

1- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج2 .ص :17

2- أبي عبد ا الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق إسماعيل العربي .ط1 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائـر، 1983 .ص : 172

3- شمس الدين أبي عبد ا محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر تحقيق محمد حجي ، ومحمد الأخضـر ، القسـم الثاني ط2 دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، 1983 ، ص 36

(4) – مؤلف مجهول (ق 6 هـ) ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، بدون طبعة ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1958 ، ص 18 ، هدا ولسنا ندري هل أن صاحب الاستبصار نقل مباشرة عن الإدريسي.



أما الحسن الوزان فيقول عن مازونة في كتابه وصف إفريقيا : مدينة أزلية بناها الأفارقة (حسب قول بعضهم) - على بعد نحو أربعين ميلا من البحر تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة ، لكن دورها (أي منازلها) قبيحة فقيرة ، وفيها جامع وبعض المساجد ، ولقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم (2).

ويرى احمد توفيق المدني أن مازونة مدينة صغيرة تقع عند ضفة وادي واريزان، على الضفة اليسرى ، وترتفع فوق ثلاث ربوات هرمية الشكل تعلوها قبب المساجد وثلاثة مآذن ويسكنها أربعة ألاف نفس و اشتهرت نسوة مازونة بصنع أواني الخزف الماون ولها سوق يعمر كل يوم خميس ، وقرب المدينة يوجد شلال بديع حيث تسقط مياه وادي واريزان من ارتفاع نحو20 متر»(2).

وكانت مازونة تحتل موقع إستراتيجي »(3) ، وذلك راجع إلى أنها تربط بين مدن عديدة مثل وهران وتلمسان والجزائر وتنس ....إلخ ،وهناك من يرى أن تاريخ مدينة مازونة قديم ، قبل الاحتلال الروماني (4).

---

(1) – الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ، تحقيق محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، القسم الثاني،ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص 36.

2 – احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.1984 ص 36

3- ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية في العهد العثماني ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان ، ص 558

4- Richard (cape-ne) etude sur l’increction du dahre 1945 -1846 Revre de l’orient 1846 (page : 170

كما ذكر مازونة الشيخ الحسن بن علي بن عمر القسنطيني أحد أشياخ العبد ري عند انتقاله من قسنطينة إلى مراكش : وفي مازونة مازلت صبا بوسنان المحاجر لودعي (1)

أ – أثرا لهجرة الأندلسية في نمو المدينة: إن الهجرة الأندلسية نحو مدن المغرب الأوسط بصفة خاصة كان له اثر في نمو المدن ، ومنها مدينة مازونة ، ويري الدكتور ناصر الدين سعيد وني أن استقرار مهاجري الأندلس في الجهات الساحلية واستصلاحهم أراضيا ، ويعمرون مدنها وقراها، فتوسع عمران مدن الجزائر ومنها مازونة فانتشرت القرى والعمارة بالجهات القريبة منها(2)

ومنه نستنتج أن مدينة مازونة نمت تدريجيا ، فتوسع العمران بها ، وأن الهجرة الأندلسية إلى هذه المدينة ساهمت في نمو مازونة في جميع الميادين.

1- أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب التحقيق الدكتور إحسان عباس ن المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت 1997 ،ص 483

2 – عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر , ط1 ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان،1971

3) – التعريف بكتاب الدور المتكونة في نوازل مازونة :

وهو كتاب فقه ، يتألف من سفرين حسب ما هو موجود في المكتبة الوطنية ، فـالجزء الأول عـدد صفحاته 516 صفحة والثاني 190 صفحة حسب ما أورده المؤلف ، نسخة موجودة منه في المكتبـة الوطنية تحت رقم 1335 – 1336 مع ضياع الورقة 194 – 195 وجـه وظهـر الورقـة ، إلا ان مكروفيلم المصغر قد حفظ لنا المخطوط كاملا ، مع العلم أن الأستاذ المشرف قام بتحقيقه منـذ أيـام قلائل ، وهو عمل فريد من نوعه وجليل

(ا) تاريخ كتابته : ويعود إلى عهد الملك اباعبد ا محمد ابن أبي ثابت المتوكل على ا ، الذي اشتهر بتشجيع العلماء ورعايتهم ، وفي عهده (866 هـ - 888 هـ)/ 1461 م – 1483 م) ظهر تاليف قيمة من بينها« نظم الدر والعقبان في تاريخ دولة بني زيان » للحـافظ التنسـي و « الـدرر المكنونة في نوازل مازونة » (1) . ونحن نعلم أن الونشريسي (2) كتب تقريض عن كتـاب الـدرر المكنونة في نوازل مازونة قبل انتقاله الى فاس 874 هـ / 1469 م ، وهذا يعني ان المازوني كتب الكتاب قبل هذا التاريخ اي في حدود 871 هـ /1466 م ، ونقل جل نوازل كتاب المـازوني فـي كتاب المعيار.

ب) – المحتوى:

أما محتوى كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، فالجزء الأول يحتوي على مواضـيع أساسـية وهي الصلاة ثم الجنـائز ثـم الزكاة ثم الصيام ثم الصيد ثم الذبائح ثم الضحايا ثم الجهـاد ثـم الإيمـان والنذور ثم النكاθ ثم الطلاق ثم النفقة ثم الرضاع ثم العدد ثم المعوضات أو التعويضات والبيوع و ثم السماسرة وثم الضرر والدعاوي وثم المديان وثم الاستحقاق وثم العواري والودائع والشفعة ثم الجعل والإجارة ثم المسافات والمغارسة ثم الكراء و الأموات والإقطاع ثم القسمة والشركة وثم العجز وثـم الغصب و التعدي وثم القرض وثم اللقطة وثم الشهادة والقضاء وثم الحبوس وثم الجرθ والتعدي وثـم الجنايات وثم الوصايا.

1– الأسـتاذ المهـدي بوعبـدلي ، الجوانـب المجهولـة مـن ترجمـة حيـاة الإمـام احمـد
- ابن يحي الونشريسي ، مجلة الأصالة ، العدد : 83 – 84 ص : 22.

ج) – المصادر:

أما مصادر في استعراض النوازل فهي يعرض النازلة ثم يجيب عنها السائلين من الفقهاء الذين اخذ عنهم سال النازلة وأجابوا عنها ، مع أعطاء آراء فقهاء آخرين مشهورين أمثال الإمام ابن عرفة ، وأبو الفضل قاسم العقباني والإمام الحافظ ابن مرزوق الحفيد والمشدالي واحمد ابن زاغو وأبو عبد ا الشريف التلمساني وغيرهم ، إلا أن أسلوب النازلة المطروحة يتخلله عبارات عامية متداولة مثل كله كتفه ....الخ.

ونلاحظ كذالك أن يحي ابن موسى المغيلي المازوني صاحب نوازل مازونة الذي عاش في القرن التاسع لم يكد يذكر الشيخ خليل في مؤلفه على طوله وأهميته ، بل كان يستمد آراءه ونوازله من وحي العصر ، ومن مصادره الفقه الإسلامي الأخرى مثل القران الكريم والسنة النبوية .

وألف نوازله المشهورة المصيرة في فتاوي المتاجرين من آهل تونس وبجاية وتلمسان وغيرهم في سفرين .

د) – أهم مخطوطات الدرر في نوازل مازونة :

1 – **مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر :** الذي يتألف من جزئيين يتضمن نقصا في البداية فهو خال من المقدمة التي نجدها ببعض المخطوطات الأخرى ، كما تكثر فيه الأخطاء مما يدل على ان الناسخ لم تكن له ثقافة عالية ، كما نجد به فوارق بين خطوطه مما يجعلنا نتأكد على ان الناسخ بالخصوص الجزء الثاني .

2 – **مخطوط الخزانة العامة :** بالرباط اقدم من التي توجد بالمكتبة الوطنية لكنها لا تختلف عنها بما أصابها من نقص وبتر وأخطاء عديدة وهي تحت رقم 521/ ق.

3 –**مخطوط ولاية إدرار** : يوجد بدائرة زاوية "كنتة" قصران زغمير.

4 - مخطوط **خزانة أولاد سيدي الشيخ الحسيني** : بولاية ميلة

5 – **مخطوط عين وسارة :** عند احد أفراد زاوية الهامل لديه نسختان

6 – **مخطوط خزانة المهدي البوعبدلي** : يبدو الذي يعتمد على نسخة أبي لعباس الونشريسي.

هـ - مصادره:

استمد المازوني نوازله وأحكامه من « المهذب لوالده » (1) ويكون تأليف هذا الكتاب (أي الدرر المكنونة) قد مر بمرحلتين ولى عهد أبيه الذي تلقى مجموعة من النوازل تتمثل في قضايا شرعية طرحت عليه عندما كان قاضيا ، والثانية للمؤلف نفسه واغلب هذه النوازل أجاب عليهـا علمـاء عصر مثل « اخمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني توفي 810 هـ ، واحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو توفي 845 هـ » (2).

وعلي بن عثمان المنقلاتي ، توفي 866 هـ ومحمد ابن احمد بن عيسى المغيلي الجلاب التلمساني وابراهيم بن القاسم التلمساني ، توفي 880 هـ واحمد بن محمد بن ذافال الجزائـري والبركـات البروني الجزائري ، والحسن ابن عطية التجاني الونشريسي الذي توفي 781ها)) (3).

« وابن العباس التلمساني ، توفي 871 هـ ، وابن مرزوق الكفيف توفي سنة 901 هـ وسـيدي إبراهيم بن عبد الرحمان بن الإمام التلمساني توفي 797 هـ ، ومحمد بن قاسـم أبـو عبـد ا الأنصاري ثم التونسي ، عرف بالرصاع توفي 894 هـ » (4).

و « أبو عبد ا محمد بن محمد بن عيسى العقدي الزندوي التونسي » (5).

و « علي بن عثمان المنجلاتي البجائي وعلي بن مكي ابو الحسن الملياني وتوفي سنة 786 هـ ، وابو القاسم بن احمد بن احمد الغبريني وكان حيا سنة 772هـ ، ومحمد بن احمد بن قاسـم بـن سعيد العقباني ، ومحمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي وتوفي سنة 866 هـ(6).

---

(1) –بلغيث محمد الامين ، مجلة الدراسات الاسلامية ، ص126.

(2) – ابو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف ، رجال السلف ، ج1، تقديم محمد رؤوف القاسمي ، موفم للنشر ، الانيس سلسلة العلوم 1991 ، ص1 .

(3) – أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ص : 34 ، 48 ، 49 ، 326 ، 361 ، 387 .

(4) – ابن مريم التلمساني ، البستان ، ص : 223 ، 251 ، 64 ، 283 .

(5) – محمد بن محمد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان ، ص : 26 ، 259 .

(6) عادل نويهض ، معجم اعلام الجزائر، ص : 196 ، 53 ، 117 ، 122 ، 130 ، 144 ، 175.

من وطأته هجمات الإنسان على السواحل وشيوع الفوضى وانعدام الأمن فتخربت المدن وأفقر الريف من السكان ، بحيث أصبحت بجاية وهي اكبر أحواض المغرب الأوسط عبارة عن كوم من الأنقاض اثري تدمير النصارى لها ، وغدت دلس وهنين مجرد خرائب » (1).

وتعقيبا على هذا الرأي ، فان التقهقر الاقتصادي والاجتماعي يعود بالدرجة الأولى إلى عدم الاستقرار السياسي ، والحروب الداخلية والخارجية التي شهدتها الدولة الزيانية ، أما الاضمحلال الاجتماعي فيعود بالدرجة الأولى إلى غارات القبائل البدوية والتفكك السياسي للدولة الزيانية ، بحيث أصبحت كل منطقة من الدولة الزيانية تقريبا مستقلة على السلطة المركزية ، وهنا ظهر مايعرف بالسلطة القبلية وبالتالي أدى إلى التفكك واضمحلال اجتماعي ، ويعود أيضا إلى التدهور الأخلاقي ، أما الأحوال الصحية والمعايشة فيتمثل في انتشار الأوبئة كالطاعون الفتاك الذي عم في مناطق كثيرة من المغرب « وان ضعف القيم الأخلاقية بين الناس نتج عن انشغالهم بالسلطة والثراء وانغماسهم في اللهو والملذات التي حققها لهم التقدم المادي الواسع وكلما ابتعد القائمون بالأمر والمشرفون على الإدارة والصناعة والتجارة بعيدا عن التعاليم الإسلامية » (2).

« وهكذا ووسط هذا التمزق العائلي كان الأدعياء والمتآمرون والمغامرون والمستفيد يون يزيدون النار حطبا ولم يكن هذا الحطب سوى العامة التي كانت تطير لكل معارضة وتنصت إلى كل

(1) –ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية (دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، الطبعة الاولى ، 2000 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص 558.

(2) –محمد نجاة ا الصديقي ، نحو انبعاث الفكر الاسلامي وازدهار الحضارة الاسلامية من جديد – الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ، بجاية ، مارس 1974 ، 1416 .

4- أوضـاع الدولة الزيانية في القرن التاسع الهجري (15م)

1 – الأوضـاع السياسية: عرفت هذه الفترة- أي القرن التاسع الهجري ، 15م – صراعات داخلية بين أبناء الأسرة الحاكمة حول العر ţ الزياني ، مما أدى إلى تدخل القوى الخارجية مثل الحفصين والمرينين، و أدى هذا التدخل إلى مساندة هذه الأخيرة للأمير المتمرد ، وأدى هذا الوضع المضطرب إلى ضعف الدولة الزيانية في كل الميادين.

يقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم في كتابه المغرب الكبير:«ثم بدأ عهد من الاضطراب والفوضى منذ أواخر القرن التاسع الهجري ، فقد تغلب السلطان أبوفارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي على السلطان الواثق با ملك تلمسان، واستمرت غزوبني حفص لتلمسان في عهد السلطان أبي عمر وعثمان بن محمد الحفصي، ففي سنة 870هـù(1465م) نجح عثمان ابن محمد في هدم أسوار تلمسان، ومع ذلك فقد طلب حكومة بني عبد الواد متماسكة، على أن ظهر الٱسبان. على المسرθ السياسي وكانت حركة الاستيراد على أشدها ، فدفعت غارات القراصنة المسلمين على السواحل إسبانيا الشرقية الإسبان إلى الاستيلاء على بعض المدن الساحلية بالمغرب الأوسط فسقطت بجاية في أيديهم سنة 910هـù.

أما الدكتور ناصر سعيد وني فيقول «لقد عرفت البلاد الجزائرية أثناء القرنين الثامن والتاسع للهجرة تقهقرا اقتصاديا واضمحلال اجتماعيا، صاحبه سوء الأحوال الصحية والمعايشة وزادت

1- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير المجلد الثاني، بدون طبعة ن دار النهضة العربية.بيروة.1981

معارضة. وبذلك كثرت الحروب وسادت الفوضى وعمت اللصوصية وارتخى حبل الامن (1).

ومع أن تلمسان كانت تعتبر في ذلك الوقت حاضرة المغرب الأوسط إلا أن المدن الساحلية كانت تكون جمهوريات مستقلة أشبه بالجمهوريات القائمة على الساحل المواجه في إيطاليا ، وقد أدى هذا التفكك إلى طمع الصقليين في الجزائر فغزو بعض مدنها الساحلية واحتلوها فترة خلال القرن الربع عشر» (2)

ومن خلال هذا التفسخ والانحلال السياسي الداخلي أدى إلى ظهور الغزو الخارجي ، وفي ظل هذه الظروف الداخلية كان يسود عدم الاستقرار«وانتشار الاستبداد السياسي»(3) والصراع العائلي بين أفراد الأسرة الزيانية وأحسن مثال على ذلك«نهوض المتوكل على ا بن محمد المستعين بن أبي ثابت تاشفين بن أبي عم[كذ]موسى بن يوسف الزياني سنة 866ه/1461م – 1462 م من مليانة ثائر عليه وتوجه للمغرب والنصر يلوθ أمامه فاستولى على قلعة بني راشد ثم قبيلة هوارة ثم مستغانم ومزغران، ثم فتح وهران ثم زاد لتلمسان فأقام عليها يومين ودخلها في الثالث وهرب أحمد العاقل لسيدي أبي مدين[كذ]، فأوتي له به فأحسن إليه وصرفه للأندلس وأستقر بالملك»(4). ومن خلال النص يظهر لنا تزايد الفتن الداخلية للدولة الزيانية ، وحتى القرصنة المسيحية استفحلت ، ويذكر الرحالة المصري تزايد هجومات القرصنة المسيحيين على ساحل بجاية لاختطاف الناس (5)

1- أبو القاسم سعد ا ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 29

2- صالح العقاد ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص 11 ، 12

3- عمار طالبي ، الونشريسي ، الأصالة ، العدد : 83 ، ص 46

4- يحي بوعزيز ، طلوع سعد السعود ، للأغا ين عودة الموازي ج1 ط1990،1، دار العرب الإسلامي ، بيروت ص 195

5- محمود بوعياد ، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 9 ه الأصالة العدد 24 ، مارس

و في هذه الظروف « انتشرت الفوضى بالبلاد الجزائرية وعم الخلاف ، فنهض حينئذ الأمير محمد بن محمد بن ابي ثابت « المتوكل منتهزا فرصة الاضطراب ، ورفض طاعة السلطان معلنا عصيانه واخذ في سيره لفتح البلاد في شهر ربيع الأول سنة 866 هـ / ديسمبر 1461 واستولى على مستغانم ووهران وتنس وأخيرا تلمسان ، فعزل عنها عم أبيه السلطات ابا العباس غرة فيفري 1462 م » (1) وكان من قبل هرب إلى تنس وكانت مركز لانطلاق ثورته » (2).

وهنا تتضح العقلية البربرية ، القائمة على الحروب والنزاع « فالدول الزناتية دول قلقة كثيرة الحركة لا تتوقف حروبها وينقصها دائما ما نسميه بالانضباط ، فلا يكاد حكم سلطان من سلاطين بني او بني وطاس ، او بني زيان يخلوا من منافسين من أهل بيته، وما أكثر ما قام الأبناء على الإباء في سبيل العرش ، وهي ظاهرة تتجلى بصورة أشبه بالقصص في حياة ابي الحسن المريني وما جرى عليه من الإحداث ، وفي كل حالة من هذه الحالات يعتمد القائم على السلطان على فريق من العرب » (3).

وقد كتب الدكتور مولاي بالحميسي عن التنافس بين البيت الزياني فقال : « نشب الخلاف بينهم حول العرش ، فانقسموا إلى طامع في الملك ومعارض له ، ونتيجة ذلك الوضع لاتخفي فانشغل القادة بهذه الحالة وانهمكوا في الدسائس ونصب الفخاخ و ربط المؤامرات، وقاتل القوي الضعيف،

---

1 – عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ط7 ، 1994 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ص : 198 .

(2) – Mohamed Sadek Messikh , El Djazair la mémoires , édition Rais Achevé d'imprimé en Tunisie en décembre 1997 , page : 33.34.

3–حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج 2، ج3، المجلد الثاني، ط 1، 1992، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 146.

وثار العم على ابن أخيه والابن على أبيه فأصبحت الحكومة المركزية بدون سلطة وبدون صلة مع

الجهات الباقية منها » (1).

كما يضيف الدكتور مختار الحساني بقوله « : لم تعرف المراحل السابقة ثورات أمراء الدولة على

إخوانهم وإعمامهم وأبنائهم كما عرفته مرحلة الانحطاط التي كانت سببا في انفصال أقاليم الدولة

ونستدل على ذلك » (2) .

كما كانت هناك حروب بين القبائل البربرية من جهة ، والبربر والعرب من جهة أخرى ، أولئك

الإعراب الذي ما انفكوا ينخرون عظام الدولة في طفولتها وشبابها وشيخوختها.

وهنا نعرف مدى الفوضى والاضطراب والأزمات في ا لعاصمة الزيانية تلمسان بعدما كانت «

مزدهرة جدا وكانت ذات سمعة وغنا وآمنة وروح التسامح فيها » (3).

الناحية الثقافية: تعتبر الناحية الثقافية في القرن التاسع الهجري فترة تلفت انتباه من

التطورات من الناحية العلمية،وما احتوت عليه من حركة علمية نشيطة أعطت فطاحل العلماء الذين

بلغت شهرتهم الافاق عبرى القرون التالية ، أمثال الونشريسي ، وابن مرزوق الحفيد والحافظ التنسي

، وغيرهم ...الخ . إلا أن السبب الذي ساعد على نمو هذه الأخيرة ، هو ظهور طبقة من جيل العلماء

الأجلاء في القرن الثامن الهجري / 13 م ، والذين يمكن أن نسميهم بالطبقة الأولى ،

---

1 – الدكتور مولاي بلحميسي ، نهاية دولة بني زيان الأصالة العدد : 26 ، 1975 ، ص 106.

2 – الدكتور مختار حساني ، الدولة الزيانية من بداية الانحطاط الى السقوط ، أطروحة لنيل درجة دكتوراة دولة في التاريخ الحديث ص : 19 .

(3) – Professeur Chams Eddine, Chitor Histoire Religieuse D’algerie ENAC édition distribution, Alger, 2001 pages 97.

أشهرهم الإمام ابن عبد السلام التونسي والإمام ابن عرفة الورغمي التونسي والإمام ابن العقاب الجذامي والإمام عمر القلشاني والإمام القباب والإمام ابن مرزوق الجد الرئيس والشيخ الشريف التلمساني واحمد ابن زاغو والمشدالي وسعيد العقباني وغيرهم...الخ، وهؤلاء العلماء يرجع لهم الفضل في تكوين جيل من العلماء لا يقلون عنهم أهمية، وهو ما يعرف بالطبقة الثانية من أمثال أبي زكريا يحي المازوني وقاسم بن سعيد العقباني وأحمد الونشريسي والإمام إبن مرزوق الحفيد والإمام علي القلصادي والحافظ التنسي ومحمد سنوسي...الخ، والملاحظ أن هؤلاء العلماء كان همهم الأكبر تبليغ الرسالة والدعوة الإسلامية إلى الطبقات الاجتماعية العريضة، ولذلك لم يكن اهتمامهم متوجها إلى الابداع أو الا بتكار، خاصة إذا علمنا أن الظرف هو عصر التكالب القوى الصليبية على دار الإسلام ، ولذلك وجه العلماء اهتمامهم للناحية الدينية، خاصة وأن الاهتمام بالفروع أدى إلى اهمال الأصول والعلوم الأخرى، وهنا « كان القرن التاسع قرنا وضع فيه الفقه المالكي من جديد على بساط النقد والتمحيص حيث دخل في مقاييس الاختيار والترجيح وهو مقياس العمل والفتوى »(1)

أ – مميزات الحركة: إلا أن هذه الحركة النشيطة للحياة العلمية و الفقهية عرفت بكثرة الإنتاج الفقهي، إلا أنها لا تعطينا جديد في الدراسات والعلوم الشرعية، وهنا انتشرت الشروح والحواشي والملخصات، «تلك الملخصات التي كانت السبب في نشر الثقافة بين الجماهير بل وتبسيط المعارف إلى درجة تقريبها لإذهاب الأميين حتى لا يحرموا من النصيب الأدنى من ثقافة الأمة»(2)

---

1 – المهدي بوعبدلي، مركز الثقافي وخزائن الكتب بالجزائر عبرى التاريخ الأصالة، العدد: 11 ص : 100

2- عبد المجيد مزيان ، الكتاب والحضارة ، ص : 80

وزوال الفلسفة الموحدية قد أفسح المجال أمام الفقهاء المالكية الذين عادو إلى الاعتناء بالفروع الفقهية . وقد نشأت مدارس متعددة كمدرسة القيروان همها العناية بالفقه المالكي خاصة، وتبع ذلك تمشيا مع الضعف السياسي سطحية التعليم وقلة موارده وضعف أساتذته ومع ذلك فإن بعض العلوم العملية ظلت حية لا سيما في تلمسان »(1)

« وأن هذا الاهتمام بالفروع قد تسبب أولا في ضعف الدراسات العقلية عامة بالكليات، وتسبب ثانيا ، في ابتعاد الدارسين عن الفقه اصلا والدخول في حظيرة التصوف والزهد»(2)

وعند مناقشتنا لهذا القول للدكتور أبو القاسم سعد ا ، نلاحظ أن الاهتمام بالفروع بلغت ذروته وأن هدف العلماء والفقهاء من وراء ذلك هو تلبية متطلبات المجتمع الفقهية والإجابة عن تساؤلاتهم الفقهية، وكذلك أنه عصرالامتداد الصليبي ولذلك كان هدف العلماء توجيه المجتمع دينيا وذلك حتى يواجهوا عدوهم، وبذلك نستطيع أن نقول أن القرن التاسع عصر الاهتمام بالفروع و تمكين وترسيخ المذهب المالكي ، وهذا الأخير أدى بالتالي إلى التغاضي عن الرسالة الكبرى ألا وهي البناء وتشييد حضارة راقية وتدهور العلوم الد نيوية ، وفي هذا المقام يقول الدكتور نجاة ا الصديقي :« لقد نسيت الأمة الدور الكبير المناط بها وانقسم رجال الدين الى طوائف وأحزاب يغلب عليها التعصب والجمود والمهاترات التي تؤدي إلى غرض نبيل و المثل الاخلاقية الحميدة.

1- ابو القاسم سعد ا ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ص 112

2- المرجع السابق ، ص 34 ، 35

وهكذا تدهورت أسباب العلم والمعرفة بعد أن فقدت الدافع والحافز الروحي وحرمت من مقومات البحث العلمي الحر واستعملت السلطة نفوذها لسحق الحوافز الأصيلة، وحطم أتون السياسة المستعمر المناخ الصالح لنمو الآداب والتقدم الاقتصادي وبدأ عصر الانحطاط يوقف كل ازدهار في العلوم والتكنولوجيا » (1) .إما محمود بوعياد فيضيف لنا بان : « المدرسين كانوا يفضلون الكتب التي من أصل مغربي أو الأندلس ، ونحن إذا تأملنا الأمر ، لاحظنا أن الغرب الإسلامي كان يمتاز منذ قرون ، على غرار أقاليم دار الإسلام الأخرى التي كانت لها خصوصيات ، قلما امتاز بشخصية برزت في اهتمامات أهله العلمية [.........] فلا غرابة إذن أن يميل آهل الإقليم إلى نتاج مواطنهم الفكري وان يفضلوه على مؤلفات الغرباء (2) .وفي ظل التراجع الثقافي بشكل عام « هناك عامل أخر في نظار بني نبي قد أثر في تدهور مجتمعاتنا وهو الانفصال بين الفكر والعمل ، انه فكر لا يتحول إلى فعل أو عمل ، ولا علاقة له بالاجتهاد ، ويؤدي هذا السلوك إلى تفضيل الكلام على العمل ولا سيما بعد القرن 13 م ، وهو العصر الذي اختفت فيه دولة الموحدين.

---

(1) – محمد نجاة ا الصديقي ، نحو انبعاث الفكر الإسلامي وازدهار الحضارة الإسلامية من جديد ، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ، بجاية ، بدون طبعة ، مارس 1974 ، ص : 1418 .

(2) –محمود بوعياد ، العلم والثقافة بالمغرب الأوسط في القرن 9 ه /15 م ، مجلة الدراسات الإسلامية .العدد10.بن عكنون العدد : 01 – يونيو 2002 ، بن عكنون .

وأضاف أيضا عندنا في الجزائر خاصة الفكر ماهو إلا مجرد ظاهرة سطحية ، أي انه لا يخضع لقانون المنطق الصوري أو العلمي » (1).

هذا كان على الحالة الثقافية بصفة عامة واهم مميزاتها وبشكل أكثر دقة ووضوح. وباختصار أن « التحولات العقائدية التي وقعت منذ عهد الموحدين والاتجاه نحو القناعة العلمية والرضي بالقليل من الفقه والمعرفة والتغاضي عن العلوم العقلية والعلمية وتفضيل علوم الدين والتصوف والفروع الفقهية على علوم الطب والهندسة والملاحة

« كما يشير الونشريسي إلى تدهور الحالة العلمية في بلاد المغرب في أواخر عصر دولتي بني مرين وبني زيان ، فيذكر انه كثر آنذاك ادعاء الجهال للعلم وانتصابهم للفتوى والإلقاء والتدريس (2).

(ب) – الدراسات الدينية:

إلا أن الناحية الدينية كانت الدراسات مزدهرة نوعا ما وهذا ما يؤكده القلصادي فيقول : « وأدركت فيها ((أي تلمسان)) كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين رابحة والهمم إلى تحصيله مشارفة ، والى الجد و الاجتهاد فيه مرتقبة ، فأخذت فيها بالانشغال بالعلم على أكثر الأعيان

(1) – الأستاذة الدكتورة سامية بوعمران ، الحضارة الإسلامية والغرب في رأي المفكرين بن نبي والحبابي ، مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 01 ، ص 157 .

(2) – الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، التحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ، بدون طبعة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص : 476 .

المشهود لهم بالفصاحة والبيان » (1).

« وكان الكثير من العلماء يرتحل إلى الشرق ، فتأثرت الحياة الفكرية إلى مدى بعيد بهذا الاحتكاك مع علماء الأقطار الإسلامية الأخرى » (2).

« وأنجبت تلمسان في عهودها الزاهرة أعظم الفقهاء الذين عرفتهم الجزائر تدريسا وتأليفا [....] ومن ابرز العائلات العلمية التلمسانية التي اهتمت بالفقه عائلة الونشريسي والمغيلي والمقري ولعقباني ومعظم أفراد هذه العائلات كانوا يترددون بين تلمسان وفاس ، وقد ظلت مازونة أيضا تنافس تلمسان في ميدان الفقه فانجبت هي الأخرى بعض رجال هذا العلم » (3).

« وشانها شان المراكز الفكرية الكبرى ذات الإشعاع الثقافي العظيم في العصر الوسيط مثل فاس وتونس ودمشق وبغداد وقرطبة فان تلمسان قد شهدت ميلاد ومرور ومكوث الكثير من كبار رجال العلم والأدب والدين والفن بدءا من عصر المقري والونشريسي وعبد الرحمن ابن خلدون وآخيه يحي والابلي وأبو مدين شعيب » (4).

(ج) - المراكز الثقافية:

إن المراكز الثقافية التي نشأت خارج مدينة تلمسان كوهران وجزائر بني مزغنة وقلعة بني راشد ومستغانم فان

---

(1) – محمد الأجفان ، رحلة القلصادي أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي بدون طبعة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978 ، ص : 95.

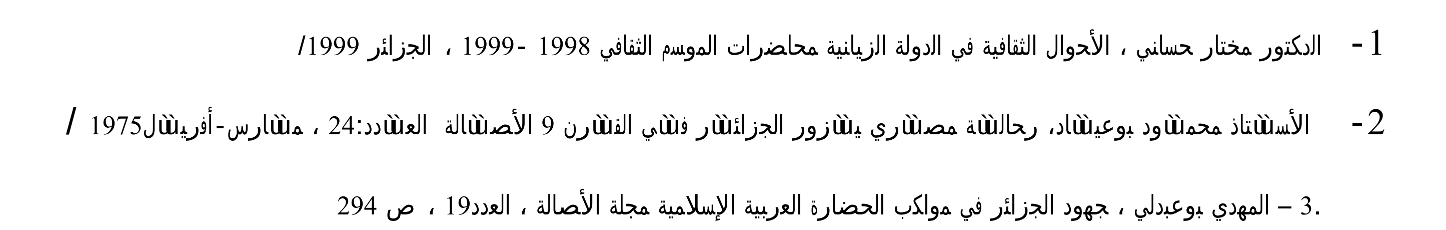
(2) – الدكتور عبد الحميد حاجيات ، ابو حمو موسى الزياني وأثاره ، طبعة الأولى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974 ، ص : 26.

(3) – الدكتور ابو القاسم سعد ا ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ط1 ، دارا لغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص 66 ، 67 .

(4) – الحصار ابن علي ، تلمسان مدرسة كبار أساتذة الموسيقى الأندلسية العدد 09 ، مجلة الجزائر في فرنسا 2003 ، ص : 29 .

علمائها الأوائل تتلمذوا عن علماء تلمسان ، وعند عودتهم إلى مسقط رأسهم لعبوا دورا بارزا في نشر الانتاج العلمي لعلماء تلمسان أمثال السنوسي وابن زكري وابن مرزوق (1)، ورغم تراجع الذي كان يشهده المغرب الإسلامي في القرن التاسع من الناحية الحضارية خاصة، وهو ما يعرف بعصر الانحطاط ، إلا أن مدينة تلمسان كانت مازالت تحتفظ نوعا ما بتلك. المكانة التي كانت تتمتع بها في القرن الثامن الهجري "14 م" ولو بشكل أقل، حتى العلوم العقلية، فهذا عبد الباسط المصري « وأورد لنا دلائل على تدريس الطب بتلمسان زمان رحلته ، بل على تفوق أطبائها»(2)

كما تفوق الإمام القلصاني في الرياضيات إلى جانب العلوم الشريعة،وكذلك نجد علم المنطق والأدب والشعر والفلسفة ، أما العلوم التجريبية فيبدو أنها قليلة. أما عن الإبداع في العلوم الشريعة فهي تقتصر على بعض العلماء ، لكن ليس بشكل كبير ، بل بعض القواعد الفقهية مثل الشيخ الجليل الونشريسي، الذي ضمن في كتابة المعيار العشرات من القواعد الفقهية، أما الإمامان ابن مرزوق الخطيب والحفيد « وتأتي أهميتها في أنهما زودا الفقه الإسلامي بأفكار ونظريات جديدة ، أخصبت ألفقه بصورة عامة وأمدته بطاقة جديدة ذات أهمية في حركة التنوير التي بدأها قبلهما الفقيه السوسي محمد ابن تومرت» (3)كما اهتم الإمام الحافظ التنسي بكتابة التاريخ ويظهر ذلك جلي في كتابة نظم الدر و العقيان في شرف أل زيان، « وقد خلف هؤلاء العلماء كلهم مصنفات،



1- الدكتور مختار حساني ، الأحوال الثقافية في الدولة الزيانية محاضرات الموسم الثقافي 1998 -1999 ، الجزائر 1999/

2- الأستاذ محمود بوعياد، رحلة مصري يزور الجزائر في القرن 9 الأصالة العدد:24 ، مارس-أفريل1975 /

3 – المهدي بوعبدلي ، جهود الجزائر في مواكب الحضارة العربية الإسلامية مجلة الأصالة ، العدد19 ، ص 294.

قليلها مبتكر والباقي منها شروح وتعاليق علي كتب مشهورة كما أشرنا إلى ذلك»(1) ،

ونلفت الانتباه من جديد إلى هذه المعطيات لأنها سيكون لها الأثر الأكبر في تداول عدد من العلوم وعدد من الكتب دون غيرها فترتب على هذه العوامل وهذه المميزات أن وجه العلماء اهتمامهم لهذه العلوم الدينية وخاصة منها الفقهية وعنوا بعدد من الكتاب يشرحونها ويعلقون عليها ، ويلخصونها ويستعملونها في حلقات دروسهم ، وقد شملت عنايتهم مؤلفات الصوفية، كما قاموا بجمع الفتاوى التي صدرت عن أسلافهم وعن معاصريهم ، وأن هذا الميل إلى الملخصات والشروح لم يكن وقفا على الفقيه وباقي العلوم الدينية»(2)

« ولا يفوتنا أن نشير إلى أن جل هؤلاء العلماء أولوا عنايتهم للفروع فقط، في العلوم كلها، كما أنهم حرصوا حرصا كبيرا على تبليغ المعارف ، التي تلقوها من شيوخهم في حلقات الدروس، وفي الكتب والرسائل التي صنفوها، إلا أن هذا النشاط لم يتسم بأي تجديد وبأي نقد، وكان الهدف الديني ناصبا دائما أمام عيون العلماء عندما كانوا يلقون الدروس ، أو يخضون في تأليف الكتب ، فكانوا يقدمون المبرر الديني وطلب الثواب في الآخرة في دباجات مؤلفاتهم كلها، حتى لو لم تكن العلاقة بين الموضوع المعالج وبين الدين واضحة، كل الوضوح»(3)

1- محمود بوعياد ،ص66،67

2- الدكتور حميدة عميراوي، الطرق الصوفية والسياسية، العدد01 مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، سبتمبر1998، بن عكنون،ص112

3- نفس المرجع ص 112

د- المـدارس:

« ومؤسسي مدارس تلمسان نجد معظمهم من أكابر العلماء أزمنتهم،و كانوا يشاركون في المناظرات العلمية وينسخون الكتب ويؤلفونها»(1)

«ومن الملاحظ سيطرة مختصر الشيخ خليل على مختاف الدراسات المالكية في الجزائر[. . .]فقد عرفنا أن التأليف المتعلقة بالتفسير والحديث كانت في جملتها قليلة وغير أصلية ، ولم يكن خليل بن إسحاق مصدر الفقة والتشريع في الجزائر فحسب، بل كان مصدر للتبرك به أيضا»(2)

ومن ناحية أخرى فرغم التفوق الذي أحرز عليه الشيخ العلامة الونشريسي في الفقه ، إلا أنه كان يشاركه فيه آخرون لا يقلون أهمية،«لكن الدراسات الفقهية لم تبدأ بالونشريسي ، فقد عرفنا أن القرن التاسع شهد إنتاجا غزيرا في هذا الاختصاص، وكثر المدعون لمعرفته عن حق أو عن غير حق »(3)

هذا ونضيف أن حتى الجاليات الأندلسية قد تأثرت في كل شئ ،«وقد صبغ هؤلاء المهاجرون الحياة الفقهية والأدبية في المغرب بالصبغة الأندلسية المعروفة ، ولا تزال أثارها، فظهر في الحياة الاجتماعية والفنية بأقطار شمال إفريقيا المعاصرة»(4)

---

1 - المهدي بوعبدلي المقال السابق ، مجلة الأصالة، العدد: 11، ص 92

2 -أبو القاسم سعد ا ، المرجع السابق ،ج2 ،ص: 66،67

3 -ذيل الوفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد لمكناني ابن القاضي،ج1،ص:132

4 - الدكتور صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصرة ، الطبعة السادسة،1993 ، المكتبة الأنجلو مصرية ،ص 15

وخلاصة القول أننا نستطيع أن نسمي القرن التاسع بداية عصر الانحطاط، لأن التقدم الحقيقي هو مسايرة الركب الحضاري وظهور الاجتهاد والإبداع، وعندما كانت أوربا في القرن التاسع الهجري تعرف قفزات حضارية كبرى كان المغرب الإسلامي يعرف تراجع إلى الوراء « ولظروف متعددة من الصعوبة التعرض بالتفصيل لبداية تثبيط همم الاجتهاد وبداية القهر لحرية البحث العلمي والحكم الصحيح، واختلت المثل والمعايير الأخلاقية، واصبح التقليد مرغوبا أكثر من الخلق والإبداع، وابتعد الناس عن فضائل التوحيد، واصبح الفهم الديني متجها إلى تطهير الروح أكثر من التهيئة لأداء الرسالة على الوجه الأكمل كما جاء بها سيدنا محمد (ص) للأمة، واتخذت المعرفة معنى ملتويا يرمي الى حفظ الكتب القديمة وإتقانها أكثر من البحث عن حقائق جديدة، وتتبع سبل مبتكرة وغلبت الطريقة النظرية على الطريقة العلمية»(1)

ونستنتج من خلال دراستنا للحياة الثقافية في المغرب الأوسط أن مدن المغرب الأوسط كانت مزدهرة ثقافيا مثل بجاية والجزائر ومازونة ، ومسيلة وتنس ووهران وقسنطينة....الخ، إلا أن هذا الازدهار الثقافي لم يستمر، بل سرعان ما اخذ يتراجع في خلال القرون التالية، خاصة مع مجيء العثمانيين إلى الجزائر.

1- الدكتور محمد نجاة ا الصديقي ، المرجع السابق ،1416،

الفصل الثاني

6 – تعريف الصوفية:

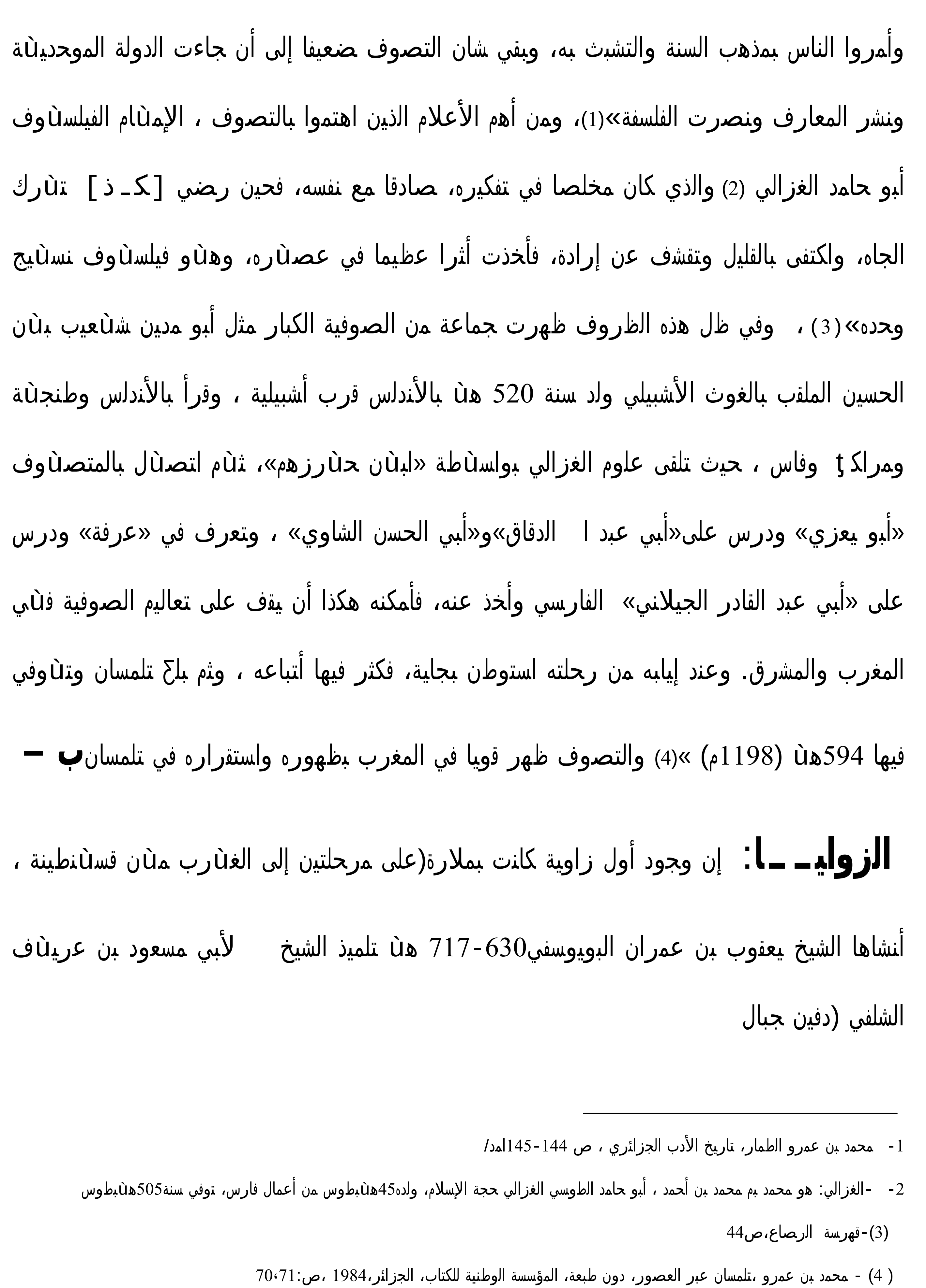
والصوفية فئة من المتعبدين، واحدهم« صوفي »، وهو عندهم من كان فانيا بنفسه بالله تعالى مستخلصا من الطبائع متصلا بحقيقة الحقائق (1)

قال العلامة عبد الرحمان ابن خلدون « وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة»(2) ، و ظهرت فرقة الصوفية في البلاد الإسلامية حوالي القرن الثاني للهجرة في عهد العباسيين، واختلف الباحثون في اشتقاق كلمة تصوف وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، فالكلمة لا أصل لها في العربية ولم يحدثنا التاريخ عن طائفة من العبادات اتسمت بهذا الاسم في الجاهلية ولا زمن الصحابة»(3) ، والتصوف مذهب عرفه الهند واليونان، فتسرب إلى البلاد الإسلامية وتأثر به بعض المسلمين، ولاسيما في الفرس عندما ترجمت الكتب اليونانية إلى العربية ، ووقفوا على حقيقة هذا المذهب»(4) «وأخذ بتلابيب التصوف أهل الشيعة ، واستعمله غلاتهم في مقاصد سياسية. وإخوان الصفا منهم، كتبوا رسائل غايتها الكفر والاستخفاف بالشريعة الإسلامية، وقد عرفت الجزائر التصوف زمن هؤلاء الشيعة العبيديين، لكن العلماء أنكروا عليهم تعاليمهم وكفروهم وحرم الصنهاجيون مذهبهم

1- عبد القادر بوطبل، تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر:54

2- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بدون طبعة، طبع مصر، ص328

3- محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، بدون طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ،ص:143 -4 - نفس المرجع ،ص 14



وأمروا الناس بمذهب السنة والتشبث به، وبقي شان التصوف ضعيفا إلى أن جاءت الدولة الموحدية ونشر المعارف ونصرت الفلسفة»(1)، ومن أهم الأعلام الذين اهتموا بالتصوف ، الإمام الفيلسوف أبو حامد الغزالي (2) والذي كان مخلصا في تفكيره، صادقا مع نفسه، فحين رضي [كـ ذ] ترك الجاه، واكتفى بالقليل وتقشف عن إرادة، فأخذت أثرا عظيما في عصره، وهو فيلسوف نسيج وحده»(3) ، وفي ظل هذه الظروف ظهرت جماعة من الصوفية الكبار مثل أبو مدين شعيب بن الحسين الملقب بالغوث الأشبيلي ولد سنة 520 هـ بالأندلس قرب أشبيلية ، وقرأ بالأندلس وطنجة ومراكش وفاس ، حيث تلقى علوم الغزالي بواسطة «ابن حرزهم»، ثم اتصل بالمتصوف «أبو يعزي» ودرس على«أبي عبد ا الدقاق»و«أبي الحسن الشاوي» ، وتعرف في «عرفة» ودرس على «أبي عبد القادر الجيلاني» الفارسي وأخذ عنه، فأمكنه هكذا أن يقف على تعاليم الصوفية في المغرب والمشرق. وعند إيابه من رحلته استوطن بجاية، فكثر فيها أتباعه ، وثم بلغ تلمسان وتوفي فيها 594هـ (1198م) »(4) والتصوف ظهر قويا في المغرب بظهوره واستقراره في تلمسان**ب –**

الزوايـــا: إن وجود أول زاوية كانت بملارة(على مرحلتين إلى الغرب من قسنطينة ، أنشاها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي630-717 هـ تلميذ الشيخ لأبي مسعود بن عريف الشلفي (دفين جبال

1- محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 144-145امد/

2- -الغزالي: هو محمد بم محمد بن أحمد ، أبو حامد الطوسي الغزالي حجة الإسلام، ولده45هـبطوس من أعمال فارس، توفي سنة505هـبطوس

(3)-فهرسة الرصاع،ص44

(4) - محمد بن عمرو ،تلمسان عبر العصور، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984 ،ص:70،71

شلف)الذي اخذ عن الشيخ أبي مدين العالم الصوفي الشهير.ومن هنا نستطيع أن نقول أن الحركة الصوفية ظهرت بالجزائر، وقوي نشاطها منذ أن حل الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ببجاية وإقامته بها في القرن السادس الهجري،إلا أن علماء الشريعة بها كانوا بالمرصاد لأصحاب الشطحات والخرفات المبتدعة فلم يجرا يومئذ أحد على إدعاء الطريق مالم يكن حقا» (1)

ج – مؤلفات المتصوفة:

وكانت تدرس كتب مختصة في التصوف مثل كتاب "قوت القلوب" لأبي طالب المكي، و"الرسالة" المنسوبة للقشيري، وكتب أبي الفرج بن الجوزي، ورسالة "فضل مكة" لأبي سعيد الحسن ابن أبالحسن البصري »(2)، ورغم كل هذا الاهتمام بالفقه والتصوف فإن هناك مدن كان الفقه والتصوف ضعيف فيها مثل مدينة الجزائر، وقد رحل أليها العبدري في 688هـ/1289 م ، وقال :« وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربه... فكأنني اسأل من الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض الأنوق»(3)

د – أبرز علماء التصوف في عصر المازوني:

إلا أنه كان يوجد في تلمسان في القرن التاسع جماعة من الفقهاء وتبنوا التصوف، وعلى رأس هؤلاء العلماء أبو الفضل قاسم العقباني ، الذي يعتبر من رواد التصوف في القرن التاسع الهجري، وهذا الأخير تتلمذ على يده كثير من العلماء النابغين، أمثال عبد الرحمان الثعالبي، الذي اشتهر بالتصوف في مدينة الجزائر.

هـ - الطرق الصوفيـة:

«وتفرع التصوف إلى طرق كثيرة ومشيحات متعددة يختلف فيما بينها باختلاف الشيوخ[. . .] وتسمى كل طريقة باسم شيخها »(4) مثل السويسية نسبه إلى محمد بن يوسف السنوسي ، والقادرية نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني...الخ

1- عبد الرحمان بم محمد الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام،ج2،ص:71

2- المرجع نفسه،ص:77

3- العبدري ، رحلة العبدري، تحقيق احمد بن حدوا ،ط1، قسنطينة، دون تاريخ،ص23

4- عبد الفتاح أحمد الفاوي، التصوف عقيدة وسلوكا،ط1، مكتبة الزهراء، القاهرة

و – أثر التصوف في الميدان الاجتماعي:

لقد لعب التصوف وعلماء التصوف دور كبير في حماية المجتمع من كل الأخطار التي تهدده، ومنها حماية الضعفاء من غارات العرب ، حيث كانوا يقطعون الطرقات وقطع رقاب المساكين واخذ أموالهم وسبي حريمهم، ويأخذون حرم الإسلام أبكارا وثيبا قهرا وغلبة ، وقتلوا كل من عاجلوه، وهنا قام أحد الفقهاء وأمر الناس بقتالهم ، فهزموهم، وقتلوا منهم خلق كثير وبذلك نجا الناس من شرورهم ، وهناك من رأى أن جهادهم لا يختلف عن جهاد الكفار.

ي- التصوف في حركة الجهـاد:

كما كان دور الفقهاء في محاربة الكفار الذين كانوا محصنين في حصونهم ، حيث كان المرابطين والفقهاء يستحثون الناس بمحاربة العدو ومحاصرته في حصنه ، والبعض كان يحملون معهم نسائهم لاحتياجهم إليهن في الضروريات ، بل تعدى هذا التصدي للعدو إلى مجال البحر، وهو لقاء العدو في مراكبهم وهنا وقع الإصطدام بين مركب المسلمين ومركب العدو. اما دور الفقهاء والقضاة في الحياة الاجتماعية فهو متنوع ، مثل إثبات استحقاق الملك شيئا ما لصاحبه ، مثل رجل ضاع منه فرس وهنا أثبت صاحب الفرس برسم الاستحقاق ويمين الاستحقاق لدى القاضي(3)، كما كان الفقهاء الصوفية يتولون القضاء ،وينظرون في المشاكل الاجتماعية و الأسرية مثل الخلافات الزوجية، حيث كان

1 - المازوني ،المرجع نفسه،ج1 ،ص309، 301، 311

2- نفسه، ج1،ص314

3 - نفسه،ج3،ص39

القاضي يعزل الزوجة عن زوجها إذا اقتضى الأمر ذلك (1)، كما كان القاضي يعين الإمام للصلاة (2) ، كما أن الإمام كان يتولى استعارة الأرض التابعة لبيت المال لمن يخدمها (3)، كما كان القاضي يحدد مصير الأرض التي غاب عنها صاحبها مدة طويلة وهنا يحدد قاضي الامصار مصير هذه الارض بان تورث لورثته أو توزع على فقراء القرية (4)

كما كان دور أهل الدين والتصوف إصلاح المجتمع، فكثيرا ما كان يتوب أهل البغي والعدوان، وكانوا يقصدون الفقهاء والعلماء ليستفتونهم في أمور دينهم والأموال التي كسبوها عن طريق الحرام، وهناك كان رد الفقهاء بوجوب إرجاعها لأصحابها(5)

أ- **الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ظهور التصرف**:

- ظهور الزوايا في كامل أنحاء المغرب الإسلامي والتي تدعوا إلى تبني طريقة معينة من طرف الصوفية التي تنتمي إلى المذهب المالكي، والتي أصبحت لها قدسية عند الجماهير الشعبية وانتشر التصوف البدعي.

الخطر الصليبي: والذي بدا يجتاح الأندلس ، وهو ما يعرف بحركة الاسترداد خاصة بعد إتحاد مملكتي قشتالة وأرغون ، «وكانت الملكة إيزابيلا من أشد المتحمسين لحرب الاسترداد، كما سماها الأسبان حينذاك [...]، وقد تركت وصية قبيل وفاتها في سنة1504، وطلبت فيها أبنائها

1- المازوني ، نفسه، ج1 ،ص: 350-351

2- نفسه ،ج1، ص:194

3- نفسه ، ج2 ،ص702،703

4- نفسه.ج2.ص74

5- نفسه ج3 ،ص 142

بضرورة إطاعة الكنيسة ووصاياها، وضرورة محاربة الكفار»(1)، وكان الإتحاد المملكتين دور كبير في اضطهاد المسلمين في الأندلس وكان أخر معقل للمسلمين فيها هي مملكة غرناطة، ومن ثم بدأ هذا الاخير يقيم القواعد العسكرية في الشواطئ المغربية ويحتلها، وفي هذا الجو المشحون بالإضطرابات السياسية الداخلية، كانت له«رد فعل ديني لدى المسلمين في المغرب العربي الإسلامي ، فاستعد الكثير من الأهالي للجهاد ضد النصارى، ونشط التيار الصوفي في مختاف الأنحاء داعيا للدفاع عن حوزة الإسلام ، وكان بعض رجال التصوف في تلك الأثناء قد نالو شهرة بين الأهالي فعظم شانهم، ومنهم عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر، وإبراهيم التازي بوهران ، ومحمد بن يوسف السنوسي بتلمسان ، و ازدادت الزوايا نشاطا في مختاف المناطق، ومنها زاوية الثعالبي بالجزائر ونواحيها، وليس من باب الصدفة أن يكون ضعف دول المغرب العربي في أقطاره الثلاث، متزامنا مع انتشار التصوف ، واتجاه أمال الأهالي إلى الصالحين والأولياء يرجون منهم الحماية من خطر الصليبيين . وتمتاز الممارسات الدينية في هذه الفترة بالقضاء والقدر والحتمية و الجبرية تنفي للانسان كل إمكانية العمل على تحقيق أماله»(2)

- التفكيك ا لسياسي الداخلي و استقلال المدن و النواحي و المناطق على السلطة المركزية ،و بالتالي سادت الفوضى و هذا ساعد رجال الدين ليقوموا بواجبهم و لعب دور الدولة من حيث فرض الأمن و حماية الممتلكات ....إلى أخره ،و هنا نشأت الزوايا في البداية .في المدن ثم انتقلت

1- الدكتور صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الطبعة السادسة المكتبية،لأنجلو مصرية1993 ،ص،15

2- عبد الحميد حاجيان، مجلة الثقافة ، العدد:117،118 ، السنة الرابعة والعشرون ،سنة1999،ص197

إلى الأرياف .و هنا اتسعت نطاق الموجة الصوفية المعادية للأجانب ذات الصبغة الصوفية الدينية و العسكرية التي يمثلها احد الإشراف من منطقة السوس،و هو أبو عبد ا محمد الجزولاني و عندها أدركته المنية سنة 869 ه/1465م، في نفس السنة التي انقرضت فيها الدولة المرينية، وكان إتباعه يعدون بالآلاف، و قد كانت الظاهرة تمثل قيام أول طريقة صوفية كبرى في المغرب الإسلامي»(1)

- **لقد كان الاحتلال الاسباني** لأراضي المسلمون في الأندلس و ما يعرف بحرب الاسترداد ، حيث زاد وعي سكان المغرب بالخطر الداهم للمغرب الإسلامي ، و نظرا للفراغ السياسي و الإداري في المغرب الأوسط ، و غارات القبائل البدوية ، التي كانت تبتز ممتلكات الأهالي ،و كل ذلك كان يستدعي من الأهالي الاستنجاد و الاستغاثة بمن يخلصهم من هذه الأخطار الداهمة ، و في ظل هذه الظروف الصعبة بدأت الحركة الصوفية تنتشر ، و كثر العلماء و الفقهاء، و هؤلاء كانت لهم هيبة لدى العامة ، و ما يقوله الفقيه أو المرابط هو بمثابة الحق الذي يجب أن يتبع ، و هنا كسب هؤلاء نوع من القدسية في قلوب العامة ، و هنا أتجه المجتمع نحو التصوف بطريقة لا شعورية ، و هنا انتشرت الطرق الصوفية في كل مكان.

1- روبارت برنشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي،ص357،ص358

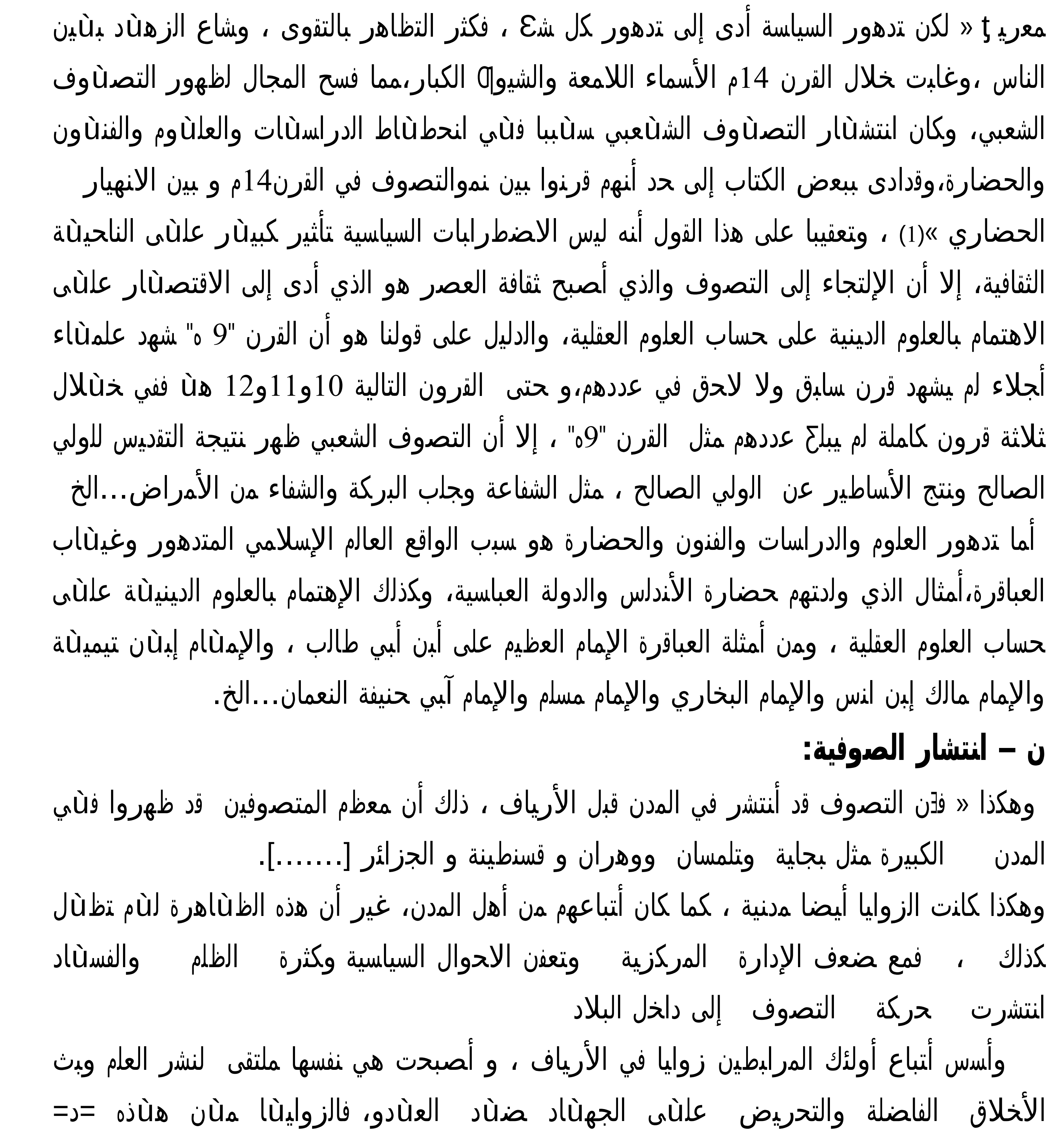
م – الظروف والاتجاهات التي أدت إلى ظهور التصوف في القرن التاسع الهجري:

إن فكرة تكوين الزوايا لم تأتي فجأة بل كانت هناك ظروف دينية واجتماعية هيأت لها ، ومن ذلك الصراع الحاد الذي نشا بين المجتهدين (في استنباط الأحكام من النصوص). والتقليديين (المهتمين بالفروع) ، فكان الموحدين يتسامحون مع التأويل العقلي والاجتهاد المطلق، ولكنهم لم يتسامحون مع الفروع، وهناك كادت دراسات الفروع خاصة المالكية أن يقضي عليها، وهناك أصبح حزبان ، وهما حزب المتؤولين((المتفلسفين وحزب المعرضين المتشبثين بالفروع، وعند انتهاء دولة الموحدين انتعش الحزب الثاني، وظهر الاتجاه الصوفي ، وتخاف المتأولين (المجتهدين) وتركوا أماكنهم للمتصوفين ، وتعايش الفقهاء والمتصوفة فترة ، لأن معظم العلماء كانوا يجمعون بين الحقيقة والشريعة ، بين علوم الظاهر وعلوم الباطن، وعندما ضعفت هذه الروح الدينية عند العلماء وساد التصوف العلمي بما فيه من حضرة وأذكار وأوراد واعتقادات في المرابط، وبذلك انفصل التصوف عن علوم الدين الأخرى ، وقد أسرف المتصوفون على انسفهم حتى اعتبروا الأذكار أفضل من القرآن وسووا بين المرابط والرسول (ص) ، ومع ذلك وقع خلاف شديد بين السلفيين والمتصوفين خلال القرن التاسع ولا سيما في تلمسان، وكان إبن مرزوق الحفيد هو الذي تزعم الاتجاه السلفي بينما عارضه معاصره قاسم ألعقباني، ولما كان تيار العصر يندفع نحو التصوف ، فإن سلفية ابن مرزوق وجدت نفسها في أقلية وكان لسنوسي أتباع كثيرون ، وقد اثر هو بدور على الاتجاه الإنعزالي الصوفي لعلماء العصر، وكان من بين أنصاه شيخه عبد الرحمان الثعالبي والحسن أبركان ، ومعاصره محمد بن عبد ا التنسي»(1)

وتمتاز الممارسات الدينية في هذه الفترة ، برسوخ نظرية القضاء والقدر عند العامة، وإعطائها مفهوما يتسم بطابع الحتمية والجبرية الذي ينفي للانسان كل إمكانية للعمل على تحقيق أماله ، وإبعاد الأخطار التي كانت تهدد أمنه وبقاؤه ، وكثرة الإلتجاء إلى الأدعية والأذكار والتوسل»(2) ومنه فإن عدم الثقة بالنفس والاتكال على الأمور الغيبية من قضاء وقدر أسهمت في ظهور التصوف وكذلك إلى الإنغلاق وعدم الاحتكاك بالحضارات الأخرى، واعتبار كل أجنبي عنا مرفوض ، في حين كان يشهد العالم الأوربي تقدم كبير في كل الميادين خاصة بعد النهضة الأوربية ، ويضيف الأستاذ محمد العربي

1- الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد ا المرجع الساب ،ص:40 ،42،41 صاحب المقال

2- ، مجلة الثقافة العدد117-118، السنة الرابعة والعشرون1999- مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة – الجزائر ص :197



معري ‌ « لكن تدهور السياسة أدى إلى تدهور كل شئ ، فكثر التظاهر بالتقوى ، وشاع الزهد بين الناس ،وغابت خلال القرن 14م الأسماء اللامعة والشيوخ الكبار،مما فسح المجال لظهور التصوف الشعبي، وكان انتشار التصوف الشعبي سببا في انحطاط الدراسات والعلوم والفنون والحضارة،وقدادى ببعض الكتاب إلى حد أنهم قرنوا بين نموالتصوف في القرن14م و بين الانهيار الحضاري »(1) ، وتعقيبا على هذا القول أنه ليس الاضطرابات السياسية تأثير كبير على الناحية الثقافية، إلا أن الإلتجاء إلى التصوف والذي أصبح ثقافة العصر هو الذي أدى إلى الاقتصار على الاهتمام بالعلوم الدينية على حساب العلوم العقلية، والدليل على قولنا هو أن القرن "9 ه" شهد علماء أجلاء لم يشهد قرن سابق ولا لاحق في عددهم،و حتى القرون التالية 10و11و12 ه ففي خلال ثلاثة قرون كاملة لم يبلغ عددهم مثل القرن "9ه" ، إلا أن التصوف الشعبي ظهر نتيجة التقديس للولي الصالح ونتج الأساطير عن الولي الصالح ، مثل الشفاعة وجلب البركة والشفاء من الأمراض...الخ

أما تدهور العلوم والدراسات والفنون والحضارة هو سبب الواقع العالم الإسلامي المتدهور وغياب العباقرة،أمثال الذي ولدتهم حضارة الأندلس والدولة العباسية، وكذلك الإهتمام بالعلوم الدينية على حساب العلوم العقلية ، ومن أمثلة العباقرة الإمام العظيم على أبن أبي طالب ، والإمام إبن تيمية والإمام مالك إبن انس والإمام البخاري والإمام مسلم والإمام آبي حنيفة النعمان...الخ.

ن – انتشار الصوفية:

وهكذا « فإن التصوف قد أنتشر في المدن قبل الأرياف ، ذلك أن معظم المتصوفين قد ظهروا في المدن الكبيرة مثل بجاية وتلمسان ووهران و قسنطينة و الجزائر [.......].

وهكذا كانت الزوايا أيضا مدنية ، كما كان أتباعهم من أهل المدن، غير أن هذه الظاهرة لم تظل كذلك ، فمع ضعف الإدارة المركزية وتعفن الاحوال السياسية وكثرة الظلم والفساد انتشرت حركة التصوف إلى داخل البلاد

وأسس أتباع أولئك المرابطين زوايا في الأرياف ، و أصبحت هي نفسها ملتقى لنشر العلم وبث الأخلاق الفاضلة والتحريض على الجهاد ضد العدو، فالزوايا من هذه =د=

دليل الطالب في

- متولتبئا كأكثر فأكثر الدور الاجتماعي الذي يقوم به شيوخ الصوفية، وأصبحت زواياهم مأوا للفقراء وال يتعذر انتهاك حرمتها [.......] ،كما تعددت وتحسنت علاقاتهم مع السلطة الرسمية ،لا سيما وقد قبلهم المذهب المالكي الرسمي بعدما نفر منهم ، وعلى الأقل فقد أصبح العلماء متسامحين مع نوع من التصوف المعتد ذو السلوك الطيب ، وخلال القرن 15م اتخذت الحركة الصوفية أكثر فأكثر شكلا شعبيا ،ربما تحت تأثر المغرب الأقصى من جديد حيث ظهرت نهضة صوفية عارمة، وقد أصبحت صبغتها عقلانية هزيلة ومظاهرها الخارجية على غاية من الشذوذ ويعتبر سيدي ابن عروس أحسن مثال لأولئك الأولياء ذوي السلوك الغريب ، إلا أن الحركة الصوفية التي أصبحت تكتسي صبغة روحية أدنى مما كانت عليه في الأصل ،قد كانت في متناول الجهلة من العوام وأحرزت لديهم على نجاح باهر»(2)

فالتصوف الذي يعني الزهد والتقشف والصلاة والعمل بالعلم والا بتعاد عن الدنيا وأهلها ، قد ترك مكانه في أغلب الأحيان إلى نوع من التصوف هو أقرب إلى الدروشة والدجل منه إلى الصلاة ، لذلك شاعت مغامرات مدعي الولاية من الجهلة الذين كانوا يبتزون أموال الناس ويهددونهم في حياتهم ، وكانت السلطة متواطئة مع هؤلاء أو غاضة النظر عنهم [.......] كما كان بعض الولاة يتقربون إلى رجال التصوف بوقف الأوقاف عليهم وإعفائهم من الضرائب[.......] ، فالعقل الإنساني في جميع مستوياته كان عندئذ واقعا تحت طائلة هذا المخدر القوي وهو التصوف المحرف عن الحقيقة»(3)

1- الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد ا ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ص :46

2- روبارت برانشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي ، ص 464

3- الدكتور أبو القاسم سعد ا ، نفسه،ص :14 -15

هذا و إن كنا نتحدث عن التصوف ، « فإن مدينة مازونة تحتوي على أول زاوية من زوايا الطريقة السنوسية الشهيرة ،حيث أن سيدي محمد ابن علي السنوسي ابتدأ تأسيس طريقته و شيد زاويته الأولى بمازونة ، ثم ارتحل إلي الصحراء الليبية و هناك أسس معاقله الكبرى» (1)
و إن هذا الانتشار للصوفية في كامل المغرب الإسلامي حتى و إن كان له أسباب و مبررات، إلا أن هناك سبب أخر لا يقل أهمية و هو سبب ضمني، غير مباشر ألا و هو «تقارب مثقفي في المغرب الأوسط بين علماء الشريعة و علماء الحقيقة ،على خلاف ما وقع في المشرق من صراع بين الصنفين من العلماء[........] ، إذ أن المغرب الأوسط عرف خلال القرن 7 و 8 و 9 الهجرية متصوفين متمسكين بالكتاب و السنة، و مبتعدين عن التصوف الفلسفي ». و يرجع بعض الدارسين سبب هذه المعايشة بين نوعين من العلماء:

1- عمق الروح الدينية في أخلاقيات المجتمع الجزائري.
2- عدم غلبة الجدل بين علماء الجزائر
3- وجود مذهبية قوية في الجزائر.
4- عدم وجود دول و أنظمة في المغرب بالشكل الذي ظهر في المشرق.
5- ظهور دول دينية إسلامية كدولة المرابطين و الموحدين اللتين قامتا بدور هام في توجيه الفكر الديني الإسلامي.
6- وجود التحرشات الأجنبية الإسبانية و البرتغالية ضد الجزائر أو المغرب ، التي دفعت العلماء والصوفيون ليكونوا مجاهدين أكثر من جدليين.

---

(1)-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص:36

(2)-الدكتور عميراوي أحميدة،فواصل من الفكر و التاريخ ، دار البحث للطباعة و ألنشر ، قسنطينة ، الجزائر ،2002،ص86 ،87،88،89)

تأثر المدارس بالتصوف :

" وكانت الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي في الفترة ما بين القرن / 13 / و / 16 / م تتميز بظهور مدارس في فاس وتلمسان و بجاية و تونس على غرار المدارس التعليمية الدينية التي عرفها المشرق الإسلامي , و اتسمت هذه المدارس بالإشراف الرسمي للحكام وبهذا إنتصر الإسلام السني وساد المذهب المالكي واستعملت المدارس الرسمية منهجين متعارضين : هما الاجتهاد والاعتقاد , وبالرغم من إنشاء مدارس لتعليم القوانين الشرعية والعلوم اللغوية , فظهر عدد من المتصوفين في القرن 15م , فكان الحكام في الممالك الثلاث يخصون الصوفيين بتقدير خاص "(1)

الانعكاسات السلبية والإيجابية للتصوف :

الإيجابية:

1 _ أصبحت هي نفسها ملتقى لنشر العلم وبث الأخلاق الفاضلة والتحريض على الجهاد ضد العدو

2 _ تحولت عبئا كبيرا كان من قبل من اختصاص الدولة , وذلك بعد أن انتشرت الفوضى والفساد في الدولة الزيانية , وهنا أصبحت الدولة عاجزة عن القيام بدورها , وهنا تحولت الزوايا والطرق الصوفية مهمة السلطات التي كانت من اختصاص الدولة .

3 _ ساهمت في وحدة المجتمع السياسي والثقافي والأخلاقي والعرفي.

4 _ عرفت اللغة العربية ازدهار بعدما كانت تتخبط في طي النسيان فأسس مجمع العلم والبحث والثقافة.

5 _ انتشار الوعي في المجتمع وإدراكه للخطر الذي يهدد كيانه ألا وهو الخطر الصليبي

6 _ قامت الأربطة الداخلية بدو كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخيفة.

---

(1) من جريدة الأحداث الإثنين 25 أفريل 2005 , العدد : 905 , ص 17 .

(2) نفس المرجع السابق , ص 17 .

7- استعراب الكثير من القبائل البربرية بسبب احتكاكها بالزوايا .

8- انتشار العلوم الشرعية في الأوساط الشعبية.

9- رفع مستوى العامة الذهني و الأخلاقي.

10- كانت الزاوية التي يعيț فيها الشيخ عبارة عن بيت عبادة وتربية

11 - كما ساعدت العقيدة الصوفية على نشر العقيدة الإسلامية لدى عامة الناس و لدى الضالين،و من ذلك الأعراب النهابين ، و كانوا يتوبون و يرجعون إلى ا تحت تأثير النافع لتلك التعاليم.(1)

12- حصر الزوايا نشاطها في الجانب التعليمي و الديني و الاجتماعي (2)

13- نشر الإسلام في المناطق من إفريقيا السوداء.

14- ازدياد اهتمام العلماء بالعلوم الدينية و الفقهية خاصة الفروع.

السلبيـــــات:

1- الاهتمام بالعلوم الدينية على حساب العلوم الدنيوية العقلية.

2- تفضيل أكثر المتصوفة الخمول و التواكل وعدم الاعتماد على النفس فكان لكلتا الظاهرتين الأثر البين، كما سبق و أن أشرنا على تداول علوم و مؤلفات دون أخرى.

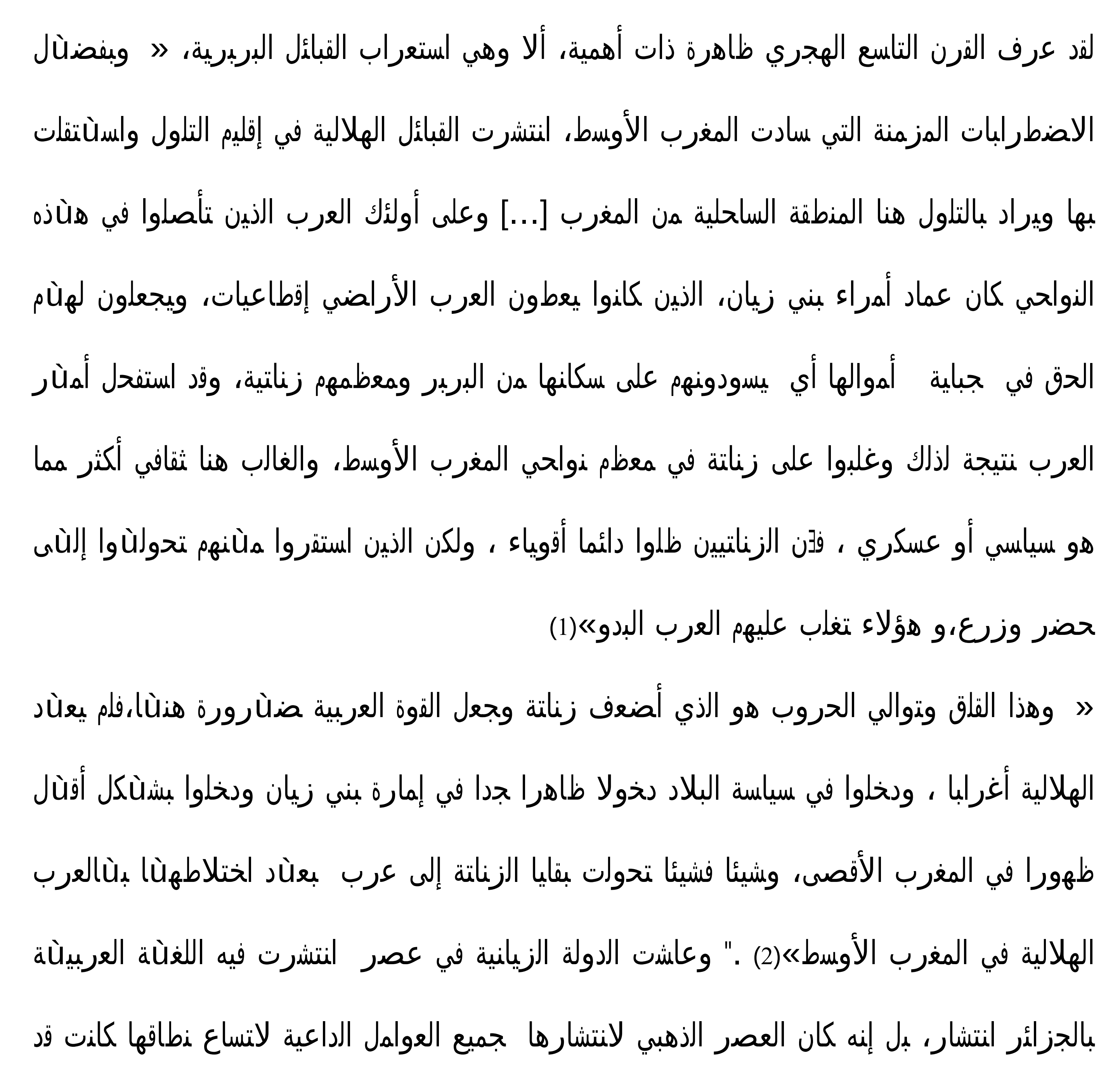
3- ظهور التصوف الشعبي و الأفكار الغريبة و طقوس تقديس الأولياء حتى نسجوا حولهم الأساطير و الخرافات.

4- ظهور أفكار غريبة عن الإسلام مثل التوسل إلى الأضرحة و الطواف بها و القيام بطقوس غريبة و اعتقاد أن الولي هو الذي يصرف شؤون الناس، من جلب البركة و الشفاء من الأمراض و قضاء حوائج الناس.

5- انحراف بعض الطرق الصوفية عن العقيدة الإسلامية.

(1)- روبارت برا نشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي،ص16

(2)- حميدة عميراوي ، الطرق الصوفية و السياسية ، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى العدد:01 سبتمبر1998.بن عكنون.الجزائر.ص214



استعراب البربر

لقد عرف القرن التاسع الهجري ظاهرة ذات أهمية، ألا وهي استعراب القبائل البربرية، « وبفضل الاضطرابات المزمنة التي سادت المغرب الأوسط، انتشرت القبائل الهلالية في إقليم التلول واستقلت بها ويراد بالتلول هنا المنطقة الساحلية من المغرب [...] وعلى أولئك العرب الذين تأصلوا في هذه النواحي كان عماد أمراء بني زيان، الذين كانوا يعطون العرب الأراضي إقطاعيات، ويجعلون لهم الحق في جباية أموالها أي يسودونهم على سكانها من البربر ومعظمهم زناتية، وقد استفحل أمر العرب نتيجة لذلك وغلبوا على زناتة في معظم نواحي المغرب الأوسط، والغالب هنا ثقافي أكثر مما هو سياسي أو عسكري ، فإن الزناتيين ظلوا دائما أقوياء ، ولكن الذين استقروا منهم تحولوا إلى حضر وزرع،و هؤلاء تغلب عليهم العرب البدو»(1)

« وهذا القلق وتوالي الحروب هو الذي أضعف زناتة وجعل القوة العربية ضرورة هنا،فلم يعد الهلالية أغرابا ، ودخلوا في سياسة البلاد دخولا ظاهرا جدا في إمارة بني زيان ودخلوا بشكل أقل ظهورا في المغرب الأقصى، وشيئا فشيئا تحولت بقايا الزناتة إلى عرب بعد اختلاطها بالعرب الهلالية في المغرب الأوسط»(2) ." وعاشت الدولة الزيانية في عصر انتشرت فيه اللغة العربية بالجزائر انتشار، بل إنه كان العصر الذهبي لانتشارها جميع العوامل الداعية لاتساع نطاقها كانت قد قامت بدورها أحسن قيام.

1- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية،ج2،ص160

2- الدكتور حسن مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته،ج2 المجلد الثاني، الطبعة الأولى1992،دار العصر للنشر والتوزيع ،بيروت،لبنان،ص146

وبالرغم عن كون الدولة كانت بربرية صرفة فإن هذا لم يكن عقبه كؤودا في سبيل التعريب لأن الحالة الروحية كانت إسلامية والتيار كان يقذف بالبربر إلى نبذ تعصبهم وتعاطي أسباب الاستعراب ولأن التأثيرات الخارجية الأندلسية والإفريقية لم تدع البربر على تبربرهم»(1)

وعليه فإن هذا الحدث الكبير يعتبر البداية الفعلية والحقيقية لترسيخ المقومات الأساسية للأمة والمجتمع العربي الإسلامي إلا أن العامل الأساسي والهام في هذه الحركة الكبرى ألا وهي التعريب الشبه الكامل للبربر ، فإن الدين الإسلامي هو من أكبر العوامل في حركة التعريب ، كان يتمتع بمكانة ومهابة كبرى، إلى درجة أن المجتمع في هذا القرن أخذ يتجه بعفوية نحو التصوف ،وبالتالي كان الجو الاجتماعي يتسم بالتدين، وكذلك التوحد ضد الغزو الخارجي ، الذي بدأ مع حروب الاسترداد ، وقد بث هذه الروح مشائخ الزوايا وعلى رأسهم الحافظ التنسي وعبد الرحمان الثعالبي والإمام الجليل ابن مرزوق الحفيد ، وأبو القاسم العقباني، والإمام الفقيه الونشريسي وغيرهم من كبار العلماء.

1- عثمان عكاك، وجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، التقديم ومراجعة: الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد ا ، الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، الدكتور محمد البشير شنيتي والدكتور إبراهيم بخار ، الطبعة الأولى 2003، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،ص 252

الفصل الثاني: الفئات الاجتماعية ومظاهر الانحلال

المدينة والريف (البادية) :

أ) **المدن** : كانت المدينة تسمى الحاضرة(1) ومنها المدن الكبيرة كتلمسان وغيرها من المدن المغرب الأوسط حيث كانت به مرافق عمومية متنوعة كالحمامات والمدارس والدور والمساجد ومنها ما يجري بها الماء يدخل من خارجها من الجهة الفوقية منها ويمر بمناصب محكمة البناء في داخل بعض الدور، ويمر بإزاء بعضها إلى أن يخرج من الجهة السفلية من البلد المذكور (2).

ب)**الأرياف**: أما القرية فكانت عبارة عن تجمع سكاني صغير، وهي منطقة ريفية تحكمها مجموعة من الأعراف الإجتماعية والعادات والتقاليد، هذه الأعراف الاجتماعية تحدد تصرفات الإنسان البدوي أو الريفي في بعض الأحيان والأمثلة كثيرة منها من عادة البوادي شراء الطعام بلا وزن من طرف بائعه حتى يهز الصاع في كيله ويحركه بيده المشتري (3).

هناك أيضا عادة في السقي في القرية(4)، إضافة إلى وجود عادات كثيرة تحكم تصرفات الأفراد وهو ما يدل على محافظة أهل الريف على أعرافهم.

1- المازوني، نفسه، ج2،ص:746

2- نفسه، ج3،ص:07

3- نفسه،ج2، ص:706

4- نفسه،ج2،ص:713

2- سكان المدن وعلاقتهم بسكان الأرياف:

كانت المدينة مصدر تمويل وغذاء لكثير من سكان القرى خارج المدينة، بإعتبارها تلبي جميع حاجيات السكان من طعام وفواكه ، إلى غير ذلك من المأكولات.

إضافة إلى هذا نجد روح التضامن بين سكان المدينة والقرية، إذ أن الكثير من الفقراء يهاجرون القرية بحثا عن القوت والمعيشة المقبولة في المدينة، وذلك رغم الغلاء الذي كان يسود المدينة في بعض الأحيان (1).

كما أن المدن وأريافها كانت تتعرض إلى خطر الأعراب من بني هلال، إذ كانت قرى تابعة مباشرة لهم، أو بطريقة غير مباشرة. وتعدى نفوذهم إلى المدن مثل مدينة مازونة.

وهؤلاء الأعراب كانوا متغلبين على البلاد لضعف السلطة المركزية، من بينهم بني عامر وسويد و ديلم ورياح .

و كانت هذه القبائل أحيانا خداما للسلطان، وتارة يكونوا مخالفين للسلطان، إلى درجة أن أميرهم يولي القاضي وأعوانه، ووصل بهم الأمر إلى تولي مناصب هامة في الدولة (2).

وهؤلاء الأعراب مشهورين بالبغي والعدوان في بلاد المغرب والسيطرة على الرعية، بحيث لا تنالهم الأحكام السلطانية، وكانت هذه الجماعات الباغية تتقاتل فيما بينها(3).

1- المازوني ، نفسه ،ج2 ،ص:746

2- نفسه ، ج1 ،ص نفسه،ج3،ص:142

3- نفسه ،ص:177،178،1

3 – الأمرا f الإجتماعية:

أ) الإنحلال الخلقي : ساد القرن التاسع الهجري العديد من الإنحرافات ، ومن أهمها وجود أهل المعاصي الذين كانوا يؤخذون أموال الناس بالنهب (1) ، مما يدل على إنتشار السرقة والإغتصاب في المجتمع،إلا أنه هناك من عرف بالغصب والسرقة لكنه تاب إلى ا وأرجع الأموال إلى أصحابها، وبعض الأحيان كان يتم ذلك عن طريق وسيط بواسطة إنسان صالح ليوزع عنه للمغصوبين أموالهم (2) ، كما أن المادة المغصوبة كانت متنوعة مثل الذهب (3)، إلا أن البعض تدفعه الظروف(مثل الفقر)أن يسرق الأموال (4) وعقوبة السارق السجن ، وبعض الفقهاء اعتبر السارق كالمقاتل حكمه حكم المحارب(5) ،و هناك نوع من الغصب وهو الغضب الجماعي ، ونقصد به الأعراب ، الذين كانوا يغيرون على القوافل والركاب وينهبونهم وهم على ما يبدو على شكل جماعات كبيرة يقطعون الطرق ويؤخذون أموال الناس بالنهب وغيره(6) ويغيرون على قرى المستضعفين ، فما كان من المستضعفين إلا أن اشتكوا إلى الجهات المسؤولة ليرجعوا لهم أموالهم المأخوذة(7) ، وقد تكون هذه الغارة فيما بين هذه

1- المازوني ،نفسه ،ج3 ،ص : 129

2- المرجع نفسه ،ج3 ،ص :141

3- المرجع نفسه ،ج3،ص:145

4- المرجع نفسه ،ج3،ص:145

5- المرجع نفسه،ج3،ص:255

6- المرجع نفسه،ج3،ص129 ،

7- المرجع نفسه،ج3،ص155

هذه الجماعات الظالمة (1)، و كما كانوا يحبسون الرجال و يشترطون مقابل إطلاقهم أن يعطي لهم دينار لكل واحد منهم أو يغرمهم في حرثه.

و كما كان البعض من العرب الغصاب يطلبون زكاة المواشي من أهل الوطن، فأخذوا عن كل واحد منهم دينار، وهؤلاء العرب يجبون الأموال و هو مما يؤكد لنا أنهم أصبحوا يتولون الأمور بعد ضعف الدولة(2) ، وكانوا يتصفون بأنهم عصاة وبغاة ومفسدين في الأرض ، ولم تكن تنصب الأحكام في حقهم(3) .

إضافة إلى هذا النوع من الغصب، نجد نوع أخر كان يمارس من قبل الولاة أو قادة المدن أو شيوخ القبائل، مثل رجل تولى أمور الرعية ويؤخذ منهم قسم من ممتلكاتهم من مخزونا تهم وغيرها من الأمور.

كما وجد حاكم أو شيخ قبيلة كان يفرض غرامة غير مشروعة على رعيته من أهل الصنعة أو الحرب (4) ، وهذا يدل على فساد بعض أولي الأمر، إلا أن الأشياء المغصوبة لم تكن تقتصر على الأموال أو المعادن الثمينة ، بل تعداه إلى غضب الدواب مثل الفرس و المهر و المعز و الغنم(5) و الثور(6) ، كما وجد من اغتصب أمة وفر بها (7)، كما وجد من العائلات

1- المازوني، نفسه،ج3،ص:142
2- نفسه،ج3،ص:159
3- نفسه،ج3،ص:157
4- نفسه،ج3،ص:158-159
5- نفسه،ج3،ص:154
6- نفسه،ج3،ص:158
7- نفسه،ج3،ص155

من كان يأكل من مال الحرام مع امرأته دون اعتبار لمعرفة مصدر الرزق (1)، إضافة إلى هذا نجد من كان يحتال في أموال الغير ، وهو بمثابة أكل مال الحرام، كمن أودع عند رجل مال وأضاف إليه الذهب، لكن هذا المؤتمن باع الذهب ، وعند مطالبة صاحب المال بماله ومجوهراته ادعى الرجل أنه ضاع منه وهو بمثابة احتيال لأخذ أموال الناس (2).

إلى جانب هذا نجد انتشار الكذب مثل رجل حاف بالإيمان أنه لا يطلق إحدى نسائه ثم طلقها ، وهذا حنث في اليمين وكذب ،وهذا دليل على تساهل بعض الأفراد في ظاهرة الكذب (3)، كما نجد ظاهرة هروب النساء مثل امرأة هرب بها رجل فغاب بها مدة إلى أن حملت منه وهنا أراد أن يتزوجها(4) ، والبعض الأخر من الرجال من كان يهرب بامرأة متزوجة وخل بها وحملت منه ووضعت ولد زنا(5)، وكان بعض النساء الفاسدات اللاتي كن يهربن من أسرهن بالحواضر إلى الجبال المجاورة صحبة شباب من العزاب، كما وجد من النساء الفاسقات من ادعت كذبا بأن رجلا أكرهها على نفسها واغتصبها مستهدفه من ذلك إرغامه على دفع بعض المال لها سواء لسكوتها عن الإبلاغ عنه وتجنبا لعقوبة السجن والجلد بالسياط ، وهي عقوبة من يقدم على مثل هذه الرذائل (6).

1- المازوني ،نفسه ،ج3،ص:146

2- نفسه،ج3،ص:174،173

3- نفسه،ج1،ص:352

4- نفسه،ج2،ص:503

5- نفسه،ج2،ص:504

6- الونشريسي ، المعيار ، ج10،ص:235

وبعض المناطق تتميز بكثرة وجود الفساد، وذلك يرجع إلى وجود أمراء العرب الفاسدين، بحيث كانت لا تجرى فيها الأحكام الشرعية، بحيث إذا قضى القاضي بحكم على تنفيذ الحكم الشرعي، لكن يتدخل أمراء العرب يمنع تنفيذ الحكم و الانقياد له، وهو يدل على محاباة أمراء العرب لدى معارفهم (1).

كما نجد ظاهرة اختلاء أهل الشر مع نساء متبرجات في أماكن معينة،وأحيانا في أماكن مقدسة مثل المساجد، ويؤدي هذا الاختلاء إلى أفعال مخلة بالحياء، وصارت هذه الأمكنة عادة يرتاد إليها الفساق، وهنا أمر الفقهاء بتغير ذلك السلوك، وتطهير المنطقة منهم(2).

كما وجد كثرة القتل على يد الفاسقين ، بحيث كان احدهم وهو شيخ قبيلة بني ثغرين، الذي كان يقتل النفس بغير حق وبدون سبب شرعي وكان يثير الفتن في الوطن ويتسبب في قتال الناس بعضهم البعض ، حتى تسفك بسببه دماء وتنهب أموال ، وبالتالي هو مثير الفتن ، ويعيث في الأرض فسادا(3).

كما أن هناك من الناس من كان لا يغض بصره عن المحارم وهو مصر على ذلك ولا يحجب زوجته وسامحها في ذلك ، حتى الخروج بدون إذنه والتحدث مع الرجال الأجانب وغير ذلك، وهذا يدل دلالة قاطعة على عدم وجود الحياء لدى بعض الناس

1- المازوني ، الدرر المكنونة ، ج1 ، ص : 392

2- نفسه ج3 ،ص : 208، 209

3- نفسه ج2 ، ص : 40

والبعد عن تعاليم الدين والأخلاق (1). إلى جانب هذا انتشار الغل والحسد (2) ، كما انتشر الجشع والاحتيال ، هؤلاء كانوا يضايقون الفقراء والضعفاء في اخذ الزكاة (3) ،كما كان هناك حكام معروفين بالانحراف والظلم والعداء في أموال الناس (4) , وبعض أشياخ الرعايا والولاة وعمال ظلمة يقبضون أموالا جبرا وظلما (5) ،كما كان هناك من يتلاعب بأحكام الدين ومخادعته للمسلمين في المعاملات (6) , ومن الناس من عرف بشرب الخمر وبالتالي هو مما لا يشك في فسقه وانحرافه (7) , وكما كان هناك أمام أحمق من أرذل الفاسقين وهو متهم بالسرقة والدعارة وهو من أهل الشبهات (8) .

ضعف الوازع الديني : ويظهر ذلك في ترك الصلاة والزكاة والغيبة والنميمة واكل مال الحرام والسرقة إلى غير ذلك من الكبائر (9) .

1- المازوني، نفسه ج1،ص:191

2 – نفسه،ج1،ص:272

3- نفسه،ج1،ص:273

4- نفسه،ج1،ص :163

5 - نفسه، ج1، ص:6/274

6- نفسه، ج2، ص :489

7 – نفسه،ج1،ص: 205

8- نفسه،ج1،ص:201.204

9- نفسه، ج1، ص:205

وهو ما يدل على انتشار الفوضى وضعف الوازع الديني لدى نسبة معتبرة من الناس , إلا أن هذا لا يعني عدم وجود الصلاθ والتدين لدى الناس , بل وجدت بيوت ذات صلاθ الدين (1) , كما سادت ظاهرة الشجار بين الرجال سواء كان هذا بين رجلين او بين أقوام , وكان القوم الأقوياء يهددون القوم المستضعفين بالقتل والضرب ،

فما كان من المستضعفين ألا أن يشتكوا إلى قوم آخرين أقوياء مثل الجبابرة لمناصرة المظلومين من المستضعفين , وهو ما يدل على انتشار الظلم بين افراد المجتمع ، وفي بعض الأحياء كان الشجار يتطور إلى مشادات كانت تؤدي إلى كسور (2) ،وكذلك نجد انتشار الظلم، مثل عمن خرج من أرضه المملوكة لكونه ظلم فيها أو خرج منها قهرا(3) .

---

1 نفسه، ج1، ص:128

2- نفسه،ج3 ،ص: 157

3- نفسه،ص:157

عدم تطبيق شروط الزكاة:

كما نجد ظاهرة أخرى ألا و هي المحاباة ، بحيث يوجد من كان يحابي شخص معين بالزكاة ، مثل مجموعة من المرابطين الذين كانوا يؤثرون فقيه الذي يقتدون به بإعطائه الزكاة، على الرغم من وجود الضعفاء ممن هم أمس الحاجة إلى الزكاة ، من ذلك فإن هذا الذي يستفتونه يأخذ جانب كبير من الزكاة ، و قد يحصل عليها من المرابطين ، بينما يعطى الضعفاء شيء قليل من الزكاة(1)

انتشار الرشوة: كوجود طلبة فقهاء المشاورين للقضاة، الذين يعملون وسطاء بين الناس ، و القضاة يتحصلون على المال من العامة ليتوسطوا لهم لدى القضاة عند صدور الأحكام .

و قد حذر أهل الفتوة من أمثال هؤلاء الطلبة و القضاة، و حثوا ولاة الأمر على تأديبهم الأدب الموجع بالضرب و السجن (2).

(1)- المازوني ،نفسه،ج1 ،ص:252

(2)- الونشريسي ، المعيار ،ج8،ص315،ج10،ص184،122،120

انعـدام الأمن:

إن ظاهرة غياب الأمن تعود بالدرجة الأولى إلى الفتن التي كانت سائدة في المغرب الأوسط بين القبائل، مثل قبيلتين وقعت بينهما فتنة، و كانت تؤدي إلى قتلا،

و هذه الفتن كانت تحدث فجئه ، و هو ما يفسر الصراع بين أفراد المجتمع و غياب الدولة في تعزيز و توفير الأمن مما أدى إلى عدوان قبيلة على أخرى(1).

و ما يؤكد على عدم الاستقرار أن قرية جاءها أعراب خيلا ،و هنا كل أهل القرية فر بنفسه و عياله ،و يبدو أن عددهم كان كبير إذ يقدر ب 1500أعرابي، و هنا قام كبير البلد فصالح هؤلاء العرب لعدم قدرته على تجنيد عدد كبير من الرجال لمواجهتهم .

و هنا اشتد خوف أهل القرية و فروا من القرية ليلا ، خاصة و أنه شاع أن العرب سيعودون بأضعاف ما جاءوا به من قبل، و قام كبير البلد وصالحهم خوفا عن قريته من فسادهم ، و أعطاهم مئة دينار ذهبا، هذا و كانوا قبل 10أيام أخذوا قرية مثلها و هتكوا عرضا و غنموا أموالا و أمتعة و حرير(2).

و هذا يدل على انتشار الرعب و الخوف و الهلع و عدم استقرار المجتمع، وهذا بدوره يؤثر على المجالات الأخرى مثل التجارة و الزراعة .

---

(1)- المازوني،المرجع نفسه، ص: 251-252

(2)- نفسه، ج3: ص:12

فســاد الحكم وضعفــه : وفي ظل هذا الجو المفعم بالاضطرابات ، أخذت المناطق والنواحي والقبائل تنفصل على السلطة المركزية، مما يدل على فســاد الحكم، وذلك ما يشير إليه المازوني بقوله « كان الزمان فاسد وضعف تطبيق الأحكام الشرعية ، وهنا استعان البعض بالأعراب العوام الحاكمين عليهم»(1) .

وهذا يدل على أن الأعراب هم أصحاب القرار والحكم وأن الأحكام الشرعية التي كانت تصدر من طرف السلطات المختلفة من القضاة والعمال والولاة لم تكن تطبق. كما كان من يتولى أمور الرعية ومكسبه مختلط بالحرام، يأخذ ضرائب غير شرعية من الرعية، ووصل به الأمر إلى أخذ غلاتهم الزراعية لا سند لها في القانون أو الشريعة.

وكانت الخيرات والثروات التي يجمعها ولي الأمر تمنح لزوجاته المتعددة وبعض أقاربه وهذا يدل على ثراء الطبقة الحاكمة على حساب الرعية وبالتالي كانت الطبقة في ثراء فاحš ، بينما الرعية تزداد فقر، وهذا ما يؤكد أن الرعية كانت تبيع بعض ممتلكاتها لهذا الظالم، وكانت على عاتقه مظالم كثيرة على الرعية (2) ، كالهبات والعطاء الذي يؤخذه السلطان أو الأمير ، وحتى العرب كانوا يأخذونها ، وهذا ما يدل على أن العرب كانوا يتمتعون بقوة وسلطة تنافس قوة السلطان ، الذي كان يجمع أموال الزكاة بطريقة غير شرعية حتى ولو لم تبلغ النصاب (3)، وهذا يؤكد على جمع الأموال بطريقة غير شرعية.

1- المازوني ، نفسه،ج2،ص:544

2- نفسه،ج3،ص:144

3- نفسه،ج1 ،ص:269

وكما كان الولاة والخلفاء يقبضون الزكاة جبرا ولا يوزعونها على مستحقيها، بل قصروا في حقوق الرعية، خاصة الطبقات الاجتماعية التي لها حقوق على الدولة مثل الشرفاء وأولادهم وأهلهم والفقراء.

وهو مايثبت أن نظام بيت المال وصرفه على مستحقيه من الرعية قد فسد وانحراف عن مستحقيه الحقيقيين (1)

إضافة إلى ماسبق انتشار اللصوصية ، والتي أصبحت عادة مشهورة عند أهل البوادي، وكان هؤلاء الغصاب يؤتون في صورة محاربين، لديهم السلاθ .

إلا أن هذه العادة كانت محصورة النطاق والعدد مثل رجل استعان باللصوص لأجل أن يهرب بامرأة ، وأغلبها سائدة في البوادي، وتمثل مدى الانحراف الذي عرفته البادية من اختطاف وغصب وزنى وإلى غير ذلك.

وهناك اللصوصية الجماعية تبدو واسعة النطاق والعدد بحيث تشمل رقعة جغرافية كبيرة مثل القرى والدواوير وكان ذلك بأعداد كبيرة تعد بالآلاف(2).

1- المازوني ، نفسه،ج1،ص:252،251

2- نفسه،ج2،ص:441،ج3،ص:1

عنـاصر السكـــان:

القبائل العربية: تنقسم القبائل العربية إلى قسمين هما العرب الرحل أو الأعراب، والعرب المستقرون الذين يعيشون على الفلاحة والزراعة ويسكنون الدور المبنية بالطوب والأحجار(1).

ومن أشهر القبائل العربية في المغرب الأوسط نجد الديلم وسعيد ورياθ وسويد وبني عامر (2).

ونظرا لغلبة طابع البداوة عليهم ، بحيث أثرت على سلوكاتهم، وبالتالي احترفوا أعمال شنيعة من نهب وسلب و الإغارة على القبائل وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم، وإنتهاب أموالهم بغير الحق ، ويأخذون حرم المسلمين أبكارا وثيبا قهرا و غلبة ، وبالتالي إحترفوا اللصوصية ، وكان عددهم كبير يقدر في بعض الأحيان أكثر10000 رجل مابين فارس وراجل (3).

وكانت القبائل العربية معروفة بالسفر الطويل بأهليهم وأولادهم ، وبالتالي هم غير مستقرون ، يقصرون الصلاة(4) ، ومن عادتهم في الزواج أن المرأة لها نوع من الحرية في الزواج، حيث المرأة توكل رجلا ليزوجها ممن ترضى به، ويفعل النساء ذلك ما يظهر لهن ويقع السكوت من طرف الوالي (5).

1- عبد الحميد قادري، التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب ، الملتقى التاريخي الثالث ط1، منشورات جمعية الوفاء للشهيد متحف المجاهد ، تقرت،23،24 فريل 1998 ، ص :21

2- المازوني ، الدرر المكنونة،ج1،ص:309

3- نفسه،ج1،ص:309،310

4- نفسه،ج1،ص:219،220

5-نفسه.ج2.ص

السكـــان البربر: وهم السكان الأصلين للمغرب الإسلامي ، منهم سكان الأرياف (1) ، والحضريين، (2) وكان من البربر أعيان لهم رئاسة ووجاهة، إلى درجة أن بعض شوارع المدن كانت تسمى باسم ذلك الإنسان الوجيه أو صاحب الوجاهة، إلى درجة أن الوجهاء أو الإنسان الوجيه يملك أغلب البيوت التي في تلك الزنقة (الشارع)، وكان سكانها خدم عنده (3) .

وكان أغلبية المجتمع من البربر، منهم العاديين و المرابطين والحكام(4)و العلماء والقضاة وإلى غير ذلك من أصناف وطبقات المجتمع(5).

وكانت القبائل البربرية تمتد في الناحية الشرقية من تلمسان المتمثلة في الجشم، الذين امتدت مضاربهم بين جبال أوسلاس جنوبا إلى قلعة هوارة وبني شقرون شمالا ، وبين القلعة ومراقع الصحراء، إلى بسيط سيق ووادي الحمام غربا.

أما الناحية الغربية من العاصمة تلمسان ، نجد من بين القبائل التي استبدت به، المعقل و ذوي عبيد ا والهداج، والحراج ، والمنبات ، وإخوانهم ، ويطلق على هذه القبائل الأحلاف ، حيث فرضوا نفوذهم على مدن الناحية وقبائلها البربرية(6).

وكانت القبائل وشيوخها يسترضون الأعراب بالأموال والهبات مقابل عدم الإغارة عليها (7).

1- المازوني ، نفسه ،ج3،ص :187

2- نفسه،ج3،ص188

3- نفسه،ج3 ، ص :185

4- نفسه،ج3،:163

5- نفسه،ج3،ص:191

6- مختار حساني، الدولة الزيانية من بداية الانحطاط إلى السقوط ،ج1، جامعة الجزائر ،ص :03

7- المازوني ، نفسه،ج1،ص:312

ونظرا للنفوذ الذي لعبته القبائل الهلالية ،و التي استطاعت أن تؤسس إمارات ومشيخات شبه مستقلة. ومن الإمارات ذات الأهمية، إمارة السويد ، وهي فرع كبير من القبائل الهلالية ،احتلت هذه الإمارة حوض شاف وسفوθ سلسلة الونشريس وأراضي مغراوة (بعد أن تقلص نفوذها).

وقد استبدوا بشلف وما يليها من البساط إلى وهران (1) ، ثم نجد إمارة بني عامر الذين أدوا دور نشيط في الأحداث النبي عرفتها الدولة الزيانية ، وعلى الخصوص في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني ، و استقرارهم كان جنوب تلمسان إلى جبل كزول بتيهرت حتى عين ايفكان قرب معسكر وتسالة. ومن هذه الأخيرة إمتد نفوذهم إلى ضواحي وهران.

إلى جانب مضارب يوجد بني يزيد وأولاد جواب وبنو الكرز ، وبنو موسى والمرابعة والخشنة ، والعكرمة، فأصبحت هذه القبائل تشكل إمارة(2)

1- مختار حساني، الدولة الزيانية من بداية الانحطاط إلى السقوط ج1 ،ص:02

2- مختار الحساني ، المرجع نفسه ،ج1،ص:02**الطبقات الاجتماعية:**

طبقة الفقهاء والقضاة والمرابطين:

القضاة: من كبار القوم و محترمين ،ومن ذوي الجاه والشرف في المجتمع، لمحافظتهم على العادات والتقاليد الإسلاميةو يمتثلونها، وبالتالي هم ذو مكانة اجتماعية ودينية وعلمية مرموقة(1). والقاضي سلطة، بحيث يستطيع سجن من اقترف جريمة (2) ، كما باستطاعته عزل المرأة عن زوجها إن كانت البينة توجب ذلك (3) ، كما أن عقود الزواج المثبتة برسوم كانت عند القاضي (4) .

و للقضاة نفوذ معنوي ومادي و مكانة في المجتمع وكلمته مسموعة (5) .

الفقهاء : طبقة معروفة بالفقه والفتوة والعلم، و لهم الشدة في الدين ، ولا يصبرون على انتهاك حرمات ا (6)، حيث يقومون بالدعوة ويناظرون أهل الكتاب من اليهود في أمور الدين (7) .

يتضح لنا من دراسة هذه الطبقة أنهم كانوا أثرياء، و في بعض الأحيان يحترفون التجارة (8).

المرابطين: معروفين بالتدين الشديد ، يتجنبون الإقامة مع الفاسقين والمتعدين لحدود ا ، يقيمون في الخيام الدواوير (9) ، وهم معرفون بالصلاθ ، بحيث كانوا يؤتمنون ، مثل رجل أودع امرأة عند مرابط ثقة، وكان المرابطون يعقدون الزواج كمن استأذنها المرابطون فرضيت بالرجل الذي تريد وعقد لها (الوكيل) عليها برضاها (10)، وكان المرابطون يثبتون عقد الزواج ، كمن ذكر من عقد عليها بالولي أخوها وبرضاها المستقيم فالمرابطون هم عقدوا الزواج (11)

1- المازوني، نفسه ،ج2 ،ص:480

2- / 2-نفسه،ج1،ص:352

3- /3-نفسه،ج1،ص:350/

4-نفسه،ج2،ص:473 /

5-نفسه،ج1،ص:86 /

6 نفسه ،ج2،ص:544 /

7 ،ج1 ،ص:90 /8 نفسه،ج3،ص:58

8- نفسه،ج2،ص:543 / 10 – نفسه،ج2،ص:545 /11 – نفسه ،ج2،ص :546

الشرفـــاء: ويقصد به النسب الشريف ، أي الانتماء إلى أل البيت النبوي ، ويأتي على رأس هذا الفرع النبوي الرسول الأعظم (ص) ، ثم الإمام العظيم علي ابن أبي طالب (رضي) ، والسيدة فاطمة البتول بنت الرسول (ص) ، ثم الحسن والحسين، وهذه السلالة الشريفة ليست إلا من نسل فاطمة الزهراء البتول (رضي).

و الشرفاء مفضلين ومحترمين عند الناس ، خاصة في المجتمع الزياني (1) ، وهذا لا يعني أن الشرفاء كلهم من ذوي الجاه بل هناك من الشرفاء وعائلاتهم من كانوا في فاقة (2) ، ويبدوا أن الخلفاء قصروا في زمانهم في حقوق الشرفاء وأولادهم وأهاليهم (3).

كما كان الشرفاء يعطون من أعطيات المساجد (4)، والفقهاء كانوا يحثون الناس على إكرام الشرفاء المحتاجين سواء بالمال أو غيره (5)، و كل من يتعرض لهتكها (أي الإشراف) يستحق العقوبة على قدر اجترائه وجرمه.

والملاحظ أن نسب الأشراف كان يثبت بالسماع الفاشي والشهادة به ودعاء الناس لديه، ويتقوى ذلك بثبوته عند القضاة لا سيما مع تقادم رسوم المنتسبين إليه.

---

1 - المازوني ، الدرر المكنونة،ج1،ص 251

2-المرجع نفسه166

3-نفسه،ج1،ص251

4- نفسه،ج3،ص: 166

5-كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي، بدون طبعة مؤسسة شبان الجامعة 1997، ص:

اليهود: كانوا من ضمن عناصر المجتمع الزياني ، فمنهم من لديه شيء من المعارف والعلوم(1) ، ومن عادتهم ، أن الوالد كان يحجز لولده مال بوثيقة شهود، ويشترط في هذا الحجز أن يكون

الوالد بالغ(2) ، كما كانت لهم علاقة مع المسلمين ، مثل يهوديان بينهما معاملات بعقود شهادة المسلمين ، وهنا قام المدعي بشهادة عقد المسلمين ضد المدعي عليه من الرضا بشهادة المسلمين (3)،و وجدت معاملات أخرى بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود) ، فدراهمهم مباحة للمسلمين وكذلك الطعام ونحوه ، باستثناء المصحف والخيل وما فيه مضر للمسلمين ، و الدرهم التي فيها إسم ا (4).

وهذه العلاقة بين المسلمين واليهود قد تكون في بعض الأحيان أوثق وأعمق ، ويتمثل ذلك في الزواج، حيث كان هناك من المسلمين من يتزوج بيهودية ، وكان يستحثها على الدخول في الإسلام ، وأدى به الأمر إلى ضربها ، و هربت منه وشكته إلى القاضي ، مما يدل على رجوع أهل الذمة إلى قاضي المسلمين عند منازعاتهم(5). أما علاقتهم بالدولة فقد إزدادت نفوذا ، في السابق كانت الدولة الزيانية هي التي تحدد ثمن الضريبة حسب المعاهدات التجارية (6)، لكن في هذه الفترة الجالية اليهودية هي التي تحدد أسعار الضريبة الجمركية على سلع الصادرات والواردات ، وهذا يعتبر

1- المازوني ، الدرر المكنونة،ج1،ص:90

2- نفسه ،ج3،ص:119

3- / 3 – نفسه ، ج3،ص

4- / 4 – نفسه ،ج 2 ،ص:708

5-نفسه ،ج3،ص:257

6 –MAS latrie Traités de paix et de commerce et cocument divers concernt les rématuions des chrétiens avec le Arabes de L’Afrique septentrion a la au Moyen age ,2 rol .paris 1866, 1872,p 358

تدخلا مباشرة في شؤون الدولة (1). والملاحظ أن هذا النفوذ اليهودي في دواليب الحكم أخذ يزداد ، ومن بين السلاطين الذين اعتمدوا على اليهود أبو حمو موسى الثالث . حيث زاد من ضعف الدولة الزيانية منذ أن أقدم اليهود للعمل في الديوانية ، وكان قد قدم لوهران أغنياء اليهود وأخذوا يديرون أحكامها وجبايتها ، وعقد مع هؤلاء المتصرفون من أغنياء اليهود اتفاقا تجاريا مع الإسبان المترددين على الساحل ،و تمكنوا من خلاله من التصرف في المرسى ومراقبة المراكب الواردة والصادرة(2)، ولم يكن تأثير الجالية اليهودية مقتصرا على الواحات الصحراوية فقط بل امتد إلى الموانئ الساحلية للدولة الزيانية كمدينة وهران ،التي لم تكن في الفترة الأولى من العصور الوسطى ضمن المناطق التي تتميز بوفرة أفراد الجالية اليهودية ، إلا أن توافدهم عليهابدأ مع ازدهار الحركة التجارية بين الدولة الزيانية والدول الأوربية، والمضايقات التي تعرض لها اليهود في الأسواق الأوربية، مما جعلهم يفضلون الهجرة إلى أراضي الدولة الزيانية ، ومن أكبر حاخامات وهران سيمون بن سماθ، وكانت العلاقة نشيطة بين اليهود الذين هم من أصل مغربي والوافدين على وهران منذ القرن 8 هـ/ 14 م (3).

---

1 – مختار الحساني الدولة الزيانية من بداية الإنحطاط إلى السقوط ،ص: 173

2 – السليماني، المشايخ،ج3،ص، والورقة:100

3 –Dufourcq (h.e) L'Espagne .catalone.et le Maghreb aux XIIIe et XIV siecles.paris.1966p :266

العبيد : وهم من ادني الطبقات الاجتماعية ، ويشكلون طبقة خاصة ، وهم الذين لم يثبت حريتهم، ولهم نسل خاص بهم وهو نسل العبيد و الأرقاء (1)، ولذلك نجد الكثير من الناس يرفض الزواج من العبيد لأنهم ادنى الطبقات الاجتماعية ، وهم ليست لهم حريتهم (2)، وهذا لا يدل على أن العبيد لا يتزوجون ، بل كان العبد يستطيع أن يختار الجارية التي يتزوجها، وكذلك يستطيع أن يطلقها ، وهناك من صرθ لزوجته إن مات سيدي ، فأنت طالق(3)، كما كان هناك الكثير من الأسياد من يطئون جواريهم لأنهم في ذمتهم (4) ، هذا وكان العبيد يستعملون في خدمة أسيادهم، والبعض منهم كان يعطي الحرية لعبده، ومنهم من كان يسمى من عبيده ليكونوا أحرار ويعينهم باسمائهم ، كما كان يطلق عليهم اسم الغلمان (5) ، و المملوكة تعتق (6) ، و العبيد ليس بالضرورة أن يكونوا من المسلمين بل هناك عبيد نصارى في ذمة مسلم (7) ، كماأن البعض يسلم أو يعير عبيده إلى رجل أخر ، وبالتالي يصبحوا في ذمته(8) و بعض الرقيق يهربون من أسيادهم ولذا السيد يضع في قدم مملوكه خلخال ليعرفه(9)، و بعض الجواري تتمتعن بمواهب مثل الغناء (10)، و لعب العبيد دور هام في المجتمع المغربي ،إذ كانت تجارة الرقيق رابحة ومزدهرة، وذلك راجع إلى الموقع الإستراتيجي للدولة الزيانية التي تشرف على تجارة العبيد من الدول الأوربية ومن السودان.

و سعر العبيد في تمبكتوا يساوي 50 فرنكا، أو يباع من 400 إلى 500 درهم (11)، و سعر بيع الجارية 13 دينار ذهبية (12) وهناك من يطأ أمة ابنه وهي له وعليه دين لأبنه(13).

1- المازوني ، نفسه ،ج2نص:431 /2- نفسه ،ج2 ،ص :431 /3-نفسه ،ج2نص:602

4 - نفسه ،ج1 ،ص:356 / 5 – نفسه،ج1،ص:378 - 379 /6-نفسه،ج2،ص:431 / 7- نفسه،ج1،ص:82

8- نفسه ،ج1،ص:361/

10 – الدكتور كمال أبو مصطفى ، جوانب من الحضارة في المغرب الإسلامي ،ص:11/36- مختار حساني ، الدولة الزيانية من بداية الانحنفسه.ج2.ص292

الفصل الثالث

المقدمة

إن أهم مظاهر الحياة الاجتماعية هوذلك التفاعل بين عناصر المجتمع الزياني،هذا وقد يأخذ هذا التفاعل أشكال متعددة.منها العلاقة بين الرجل والمرأة فتظهر في الزواج والأسرة والطلاق .

كما تربط بين عناصر المجتمع مجموعة من الروابط والعلاقات تتجلى في المعاملات بين مختلف عناصر المجتمع ومنها الوديعة والقروض والإعارة والديون.

الزواج والطلاق

الزواج إن الزواج هو الرباط الذي يربط بين المرأة والرجل.إلا أن الزواج الشرعي تسبقه الخطبة.وهو الرغبة والاستعداد لربط علاقة شرعية ولبناء أسرة .لكن الاختلاف بين الناس في اختيار الزوجة منهم من كان يخطبها لجمالها (1)

وهناك من كان يزوج ابنته لمن يرضاه من ذوي الجاه والمال (2) .

وعادة العرب ينكحون المرأة لجمالها.ورغم هذا فان من عادة الناس اختيار المرأة الطيبة المتدينة وينفرون من تزويج بناتهم للفساق و الظالمين (3).

ولقد كان بعد اخذ النية في الخطبة والزواج.يشرع في القيام بمراسيم الخطبة . حيث يتوجه ولي أمر الخطيب إلى بيت المرأة المخطوبة بحضور أولياءها.وهنا يبدي الخاطب الرغبة في الزواج من المخطوبة وذلك من الآداب والأعراف السائدة آنذاك .ويكون التعريض بالزواج عن طريق الفاظ معينة .

وعند ذلك تعطي المخطوبة رأيها في الزواج ، فان قبلت تبدي ذلك عن طريق التعريض بالألفاظ أو الإشارة مثل السكوت وهو دلالة على الرضا(4).

ثم عند الموافقة على الزواج يتفق ولي الأمر كلا الطرفين على" **المواعدة** "وهي الموافقة كلا الطرفين من العائلتين على التوثيق واخذ العهود على التزويج والبناء

1-المازوني .الدرر المكنونة .ج2.ص490

2-نفسه..ج2 .ص48.ص544

3-نفسه.ج2.ص480

4-نفسه.ج2.ص480

عليه والاتفاق على الوعد بذلك من كلا الجانبين(1)،وكان الوالد هو الذي يخطب لابنه .كما أن الأم أيضا تخطب لابنتها لمن ترى أنها صالحة لابنها(2).

وما كان والد أو ولي الزوجة إلا ليقبل بصداق معين.بعضه نقدا تأخذه الزوجة .ويبقى الباقي في ذمة الزوج ويسمى الكالي .ويعطي الزوج امرأته مبلغ معين من المال في كل عام يكون بعد البناء بزوجته(3).وبالتالي فالمهر جانب منه معجل وجانب مؤجل (4).وأحيانا يخطب الخاطب لنفسه من ولي الزوجة المخطوبة .وهناك من كان يخطب بنت صغيرة دون البلوغ (5)

وكان المستوى الاجتماعي يلعب دورا كبيرا في الزواج بحيث أن الكثير من الناس يرفض تزويج ابنته للعبيد. وذلك راجع لأنهم أرقاء لا يملكون حريتهم فكثيرا ما كان يفسخ عقد الزواج من نسل الأرقاء(6).

وفي الوقت نفسه نجد طبقة الأثرياء وأصحاب الشرف مثل القضاة يخطبون من الأثرياء مثل (مرابطين من ذوي الوجاهة والغنا والحرمة)،هذا ما يؤكد لنا على التفاوت الطبقي بين الفئات الاجتماعية .

هذا التقارب بين الأغنياء يبين لنا أن الطبقة الثرية تفكر بطريقة خاصة بها ،وبالتالي هي تتمتع بأسلوب ونمط معيشي خاص بها على حسب الوجاهة التي تتمتع يها .

بالإضافة إلى هذا هناك من كان يشترط على الخاطب الإقامة معه في الحاضرة مع ابنته(7).

وان هناك شروط أخرى منها تطليق زوجته الأولى التي في عصمته في الجزائر مقابل الموافقة على الزواج الثاني للخاطب(8)

1-المازوني .الدرر المكنونة .ج2.ص474
2-نفسه .ج2.ص 433.440 .482
3-نفسه.ج2.ص.439.433
4-نفسه.ج2.ص431
5-نفسه.ج2.ص,430
6-نفسه .ج2.ص431
7-نفسه .ج2.ص430
8-نفسه.ج2.ص485

وان هناك شرط آخر على الخاطب يتمثل في القيام بعمل معين،حيث بهذا العمل يقبل ولي البنت تزويجها له(1).

أما عند العرب فكان الزواج يختلف نوعا ما عن غيره ،بحيث العادة عند العرب أن المرأة توكل ليتزوجها ممن ترضى به ،ويفعل النساء ذلك ما يظهر لهن ويقع السكوت من طرف الولي .(2)

إذا كان الزاج تسبقه خطبة فليس كل خطبة تؤدي إلى زواج ،فقد لا يتم الزاج لسبب معين مثل اكتشاف الخاطب أن المرأة لا تصلح له لعيوب فيها ،ويصرح الخاطب بذلك في بعض الأحيان بلفظ يلفظه مثل قوله ورددتها في ظهر أمي وهو ما يعرف بالظاهر(3).

ومن كان يزوج أخته(4)وبحضور الزوج والزوجة بمحضر الشهود لكلا الطرفين ،وقد يحضر ناس آخرون يؤكدون على خطبة من أبي ولي الزوجة .وأحيانا عند قاضي المدينة أو البادية ،وحيث يستأذن القاضي الزوجة بالموافقة على الزواج(5)

وقد يكون ولي الزوجة أخوها (6) وهذا يقبل ولي الزوجة بصداق معين.

ويثبت القاضي العقد بوثيقة وبحضور شهود كلا الزوجين وأشخاص آخرين ،والمرابطون لهم حق أيضا في تثبيت العقد الشرعي (7)،وقاضي الانكحة له الحق في عقد القران في احد الجوامع أو المساجد ،أما المواضع البعيدة عن الحاضرة كالقرى والحصون فإمام المسجد هو الذي يتولى عقد القران دون إذن من القاضي لبعد المساجد بينهما(8).وهناك من الأزواج من كان يبالغ في المهور والجهاز لزوجته ضانا أنها ثرية لكن سرعان مايكتشف العكس(9).

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص470
2-نفسه.ج2.ص477
3-نفسه.ج2.ص.501.502
4-نفسه.ج2.ص619
5-نفسه.ج2.ص452.446
6-نفسه.ج2.ص546
7-نفسه.ج2.ص446
8-كمل أبو مصطفى .جوانب من حضارة المغرب الإسلامي.ص13
9-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص491

وفي بعض الأحيان كان يختلف الزوج ووالد البنت على صداق حيث ادعى أبو الزوجة العقد وقع بينهما بسمية وادعى الزوج انه تفويض ولايته لهما(1).

وكانت اليتيمة التي ليس لها ولديها يعقد لها.مثل والد الزوج يعقد ليتيمة لولده بصداق مسمى نقده وكاليه ،واثبت ذلك رسما عند القاضي وذلك بحضور الشهود2)

وعقد النكاح ليس بالضرورة في المسجد بل قد يكون في مجلس مع وجود حضور3 الى جانب هذا هناك من كان بخطب امرأة صغيرة دون البلوغ(4)

الجهاز

أما المرحلة التالية فيأتي دفع الجهاز.بحيث يأتي الرجل المتزوج إلى بيت الزوجة ليدفع لها الجهاز (5)، والجهاز مقدر بالعرف السائد في الناحية .وهناك من يجعل الجهاز المضمون معلق في ذمة كالإعارة بحضور الشهود.وعلى أن هذا الضمان بتؤدية لا يتجاوز سنة،ويتعهد الزوج بذلك لتأدية الجهاز ،وإلا فيضخم حجم المهر بقدر ما اسقط من الجهاز المضمون لها . (6)

وجرى العرف أن يخرج والد الزوجة ضمن الجهاز بعض الثياب الثمينة باسم الزوج ثم يستردها بعد الزفاف،على أساس أنها عارية وأنها وضعت مع الجهاز بهدف التزيين والتباهي والافتخار لا على سبيل العطية .

ومن جهة أخرى عرف أهل المغرب نظام ضمان جهاز العروس .حيث كان والد العروس يشترط أحيانا على الزوج أن يضمن جهاز العروس قبل الدخول بها .

1-المازوني .الدرر المكنونة .ج2.ص471
2-نفسه.ج2.ص473
3-نفسه.ج2.ص483
4-نفسه.ج2.ص456
5-نفسه.ج2.ص477
6-نفسه.ج2.ص470

أما الفارق بين زواج الحاضرة وزواج القرية هو أن عادة أهل البادية عدم الكتابة حين العقد وعدم حضور من يعرف أركان النكاح.ويكلف الزوج بإثبات النكاح وينظر القاضي ارمهم من وقوع القبول بالقول (1).

العرس

أما العرس كان ينقسم إلى حفلين احدهما يتم نهارا للرجال والأخر ليلا للنساء .وفي كل منهما كانوا يستقدمون المغنيات وضاربات الدفوف والراقصات ،ويذبحون الذبيحة أو أكثر(2)،ويستعملون الدخان والدف لاستظهار وإعلان الزواج (3).

ويتم في العرس الإطعام من مختلف الأصناف مثل اللحم والادام و الفواكه والفقوس والعنب والفواكه اليابسة (4)و الزوج يقدمون له هدية ،مثل الدراهم (5).

والزوجة ليلة البناء لدى الأثرياء يعملون لها حلي وثياب فاخر من الشرط (6) وتحرس العروس على تجميل نفسها ليلة الزفاف،والماشطة تتولى مهمة تجميلها نظيرا أجرا معين .ومن وسائل تجميل العروس دهان وجهها ببعض الطيوب والأصباغ التي تظهر جمالها (7).

أما الزوج وأصحابه يقضون صبيحتهم عند الحلا ق وبعد تناول الغذاء بدر الزوج يقضون عشيتهم في الحمام الذي يكون خاصا بهم .

وفي كل من دار الزوجين تقع حفلة العرس يستدعى لها النساء خاصة اللواتي يلبسن أحسن الثياب ويتحلين باثمن ما عندهن من الحلي ،وأثناء الحفلة يقدم إليهن طعاما خاصا يسمى "المرقة بالعسل "ثم شاي أو قهوة وحلويات متنوعة .

غير انه لم يكن من حق والد العروس أن يمنع بعض الجهاز عن ابنته إذا أراد إخراجها إلى زوجها (8)ذلك ما يظهر لمن وقع السكوة من طرف الولي .وقد توكل المرأة أجنبيا مع عدم وجود الولي .

1-المازوني .الدرر المكنونة .ج2.ص252

2-كمال أبو مصطفى .جوانب من حضارة المغرب العربي .ص16

3-المازوني .الدررالمكنونة .ج2.ص479
4-نفسه.ج2.ص717.478.477..
5-نفسه.ج2.ص619
6-نفسه.ج.690.2
7-كمال أبو مصطفى .جوانب من حضارة المغرب العربي .ص16
8-نفسه.ص14

وكان الجهاز يحتوي علي حلي ومتاع وحيوان للذبح في الزفاف (1) موعد الزواج كان يتم بعد الانتهاء من إعداد الجهاز (2).
والعروس تشتري الثوب وتختاره وما يهواها وتشتري الفراش والحلي والزخارف اللازمة للعرش (3)،بالإضافة إلى بعض الطيب والحناء والأصباغ،وفي بعض الأحيان يبعث الزوج إلى الزوجة بعض المال تستعين به في العرس لشراء ما يلزمها قبل الزفاف،وهو ما يسميه العامة "بحق العروس".

والمتعارف عليه أن يقوم بإرسال هدية من جذور أو لحم إلي بيت والد العروس لكي يعد طعاما يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف (4).

الخلوة

و عادة مألوفة و هي لابد للزوج من خلوة بزوجته ليلة معينة قبل الدخول في بيته أو في بيت أبيها.يبيت مع زوجته في بيت أهلها و العادة مألوفة حتى انه إن لم يقع منه هذه العادة يلحق الزوجة وأهلها معرة كبيرة ويقع الشر بينهما و ربما أدى ذلك إلى فراقها و بعد تلك الليلة يكون الخيار في المبيت عندها أو إذا أراد يعلمها أو يعلم أهلها(5).

و مبيت الزوج عند زوجته قبل البناء حيث يعطيها أشياء لأجل رؤيتها و الخلوة بها تلك الليلة، زائد على الصداق. وتلك الأشياء إعارة لتتزين به لا للتمليك . و يبقى عندها غاية البناء وانتهاء الزفاف (6).

و في المساء يؤتى بالعروسة إلى دار الزوج ثم تقع حفلة الحلوة وبعدها تدخل إلى بيتها، فتجلس على كرسي وهي لابسة أحسن الألبسة الحريرية وأجملها ، وفوق ذلك كله محلاة بأرفع الحلي و أثمنها وتبقى تنتظر دخول العروس ووجهها مغطى بمنديل (7).

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص472
2-كمال ابو مصطفى .مرجع سابق.ص14-15
3-المازوني .الدرر المكنونة .ج2.ص716.742
4-كمال ابو مصطفى .مرجع سابق .ص15
5-المازوني.الدررالمكنونة .ج2.ص.742.716
6-نفسه.ج2.ص252
7-الحاج محمدبن رمضان شاوش .باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان .ط1.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.1995.ص383

أما العريس فانه يؤتى له بحصان عليه سرج يركبه بباب الحمام بعد ان يجعل على كتفيه برنوسا ابيض من الحرير .

يأتي الاليون فيتقدمون وأمامهم شاب يحمل ثريا كبيرة من اللوح مزوقة الازهار ومثبة بشموع موقدة ،ثم الطبالون فيقفون خلفه وأمامهم شاب يحمل ثرايا مثل الاولى يضرب النوبة وبعدها ينصرف الموكب طائفا بأزقة المدينة الى ان يصل الى الدار يضرب عليه نوبة اخرى بباب الدار او في فنائها ينزل عن الحصان ويدخل رأسها الى البيت الذي تكون فيه العروس وترخي الستورعليها .

وفي تلك الليلة تقع حفلة في فناء الدار بالغناء والرقص الى الصباح1 وفي العرس الرجال والنساء يرقصن 2

الزواج المختلط

نلاحظ شيوع ظاهرة الزواج المختلط بين العرب والبربرايات في المغرب الأوسط ،كان نساء البربر يتزوجن برجال من بربر الأندلس 3

أما اليتيمة الغير البالغ فيجوز ان تخطب وتتزوج،خاصة إذا كانت في ذمة رجل مع أولاده وماتت زوجته وهنا يجوز أن يتزوج بها 4.

أما طبقة العبيد فكانوا يتزوجون،بحيث أن هناك من قال لزوجته إن مات سيدي فأنت طالق(5).

إضافة إلى هذا وجود تعدد الزوجات،هناك من تزوج أربعة زوجات ،وقد تلجا الظروف إلى تطليق بعضهن (6).

-

1-محمد بن رمضان الشاوش .باقة السوسان .ص83
2-نفسه.ص 383 .384
3-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص520
4-نفسه.ج2.ص 546
5-نفسه.ج2.ص610
6-نفسه.ج2.ص633

ومن كان يبني بزوجتين ويعدل النفقة بينهما بالنصف لكلا الزوجتين (1).كما نجد مع من كان مع امرأته من قبل الزواج في فساد وحرام ،وكانت تزني وبعد دلك أراد البناء عليها ،وظلت مدة للاستبراء وعقد عليها (2).

وهناك من كان يزوج ابنته ممن يريد هو.بحيث كلما جاء الخطاب يقول لهم بأنها مزوجة بفلان،وهدا أصبح عادة وتقليد ،بحيث يتدخل احد الوالدين ويزوج ابنه بمن يريد وليس باختيار الابن،سواء الوالد أو الوالدة ،بحيث انه هناك من كان تخطب له أمه(3).

ولقد جرى العرف لدى بعض الأوطان ادا مات احد الأزواج بادر أخوه أو قريب لبيته ويبيت معها –أي الأرملة –ودخوله عليها يجعلونه علامة على أن لا ينكحها احد بعده،وأنها له دون غيره (4).

وهناك بعض الأزواج الدين يتزوجون بحيث يجمعهم في بيت واحد(5).

مشاكل الزواج

زواج مرآة مع رجل كثيرا ما تقع مشاكل فبعضها تكون عادية ،ومن هده المشاكل نجدها عند الدخول والبناء كمن خطب وعقد على زوجته ،فغاب عنها ولم يدخل بها فما كان منه إلا أن تتزوج رجل غيره(6).

وكما اعتاد الناس على ضرب نسائهن ،وبالتالي تقع خصومات بين الزوجين قد تؤدي إلى تدخل الأقارب لفك النزاع(7) .

إضافة إلى وجود مشكل عدم الرضا مع طرف الزوجة على الزواج،ويحدث دلك بكثرة عند أهل البادية ودلك لجهلهم بأحكام الزواج وعدم التوثيق من عقد الزواج1.

هدا ولكن عدم إجراء النفقة على الزوجة عند الدخول احد الأسباب فسخ العقد مع العلم ان العادة النفقة تجري بعد البناء .

وقد كانت النساء تغار على ازواجهن الى درجة ان الزوجة كانت ترفض زواج زوجها بامراة اخرى ،وتعتبره زواج عليها9.

---

1 -المازوني. الدرر المكنونة .ج2.ص437
2-نفسه.ج2.ص446
3-نفسه.ج2.ص615
4-نفسه.ج2.ص649
5-نفسه.ج2.ص647
6-نفسه.ج2.ص634
7-نفسه.ج2.ص354
8-نفسه.ج2.ص336.634
9-نفسه.ج2.ص42

وهناك من يتزوج امرأة في استبراءها ،وهدا نكاح فاسد .وهناك من لا يأتي منه الوطئ مدى الحياة 1.

2-الطلاق

يعتبر الطلاق فك رابطة الزواج،وهو أخر حل يلجا إليه الزوجين بعدما فشلت جميع الطرق لانقاد هده الرابطة المقدسة،وهو بالتالي ابغض الحلال إلى الله

أسباب الطلاق

وتعود أسباب الطلاق إلى عدة أسباب وهي من كان تطلق منه زوجته لفسقه ،ويؤدي بالزوج واقع في مدينة تونس .

إلا أن بعض الفقهاء يرون ضرورة إمهال الفساق،خاصة وان أهل الفساد كثر ،إذ لو اعتبر فسخ النكاح لكثر الطلاق وبالتالي وبالتالي تشتيت الآسر2،وهو سبب يؤدي إلى الطلاق 3. وقد تكون المرأة هي السبب في الطلاق ودلك لسفهها وفسوقها 4.

وهناك من كان يقع في خلاف مع زوجته مثل من أراد عدم الإنجاب الأولاد وعندما أنجبت امرأته يطلقها 5،ورجل كان من أسباب تطليق زوجته أنها أسقطت عنه صداقها 6.وكما يمكن أن تكون عدم التفاهم على النفقة سبب يؤدي إلى الطلاق7.

1-المازوني .الدر المكنونة .ج2.ص425
2-نفسه.ج2.ص350
3-نفسه.ج2.ص554
4-نفسه.ج2.ص555
5-نفسه.ج2.ص503
6-نفسه.ج2.ص634
7-نفسه.ج2.ص521

/لطلاق وأنواعه

أما الطلاق فله أنواع منها الطلاق الرجعي والطلاق الخلعي 1،والطلاق الرجعي هو كمن طلق امرأته لكنه يمكن مراجعتها،أما الطلاق الخلعي فهو طلاق بائن ،وهنا تحرم المرأة عن زوجها حتى تنكح زوجا غيره.

أما المطلقة تعتد عدة الطلاق ومدتها أربعة أشهر وعشرة أيام.إلا انه هناك مشاكل تعيق تنفيد الطلاق لبعض مستحقيه.ادا كان القاضي يعجز عن تنفيذ الحكم .ودلك لقلة أحكام السلطة2.

هناك مشكل أخر هو أن رجل طلق امرأته ثم أنكر انه طلقها طلاق بائن 3. وكذلك من يحنث في اليمين وبالتالي لا تحل له حتى تتزوج رجل غيره.وهناك من طلق امرأته لمدة شهر وبألف تطليقة وهنا الطلاق بائن 4.

وتكون صيغة الطلاق مثل أنت طالق وأنت علي حرام أو سلمت لك في الدنيا والآخرة 5.

القاضي هو الذي ينظر في الطلاق ويعزل بين الزوجين ودلك بشهادة الشهود6،وقد يفسخ العقد قبل الدخل عند القاضي،وهنا يلزم الزوج الزوج بنصا دخل بها فيلزمه الصداق كله لها 7.

وكثيرا ما كان النساء يطلقن أزواجهن بسبب خلافات ونزاعات.وهناك من يتزوج امرأته في فساد قبل الدخول وهنا ينتظر استبرائها .والاستبراء يدوم ثلاثة قروء8.

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص530
2-نفسه.ج2.ص50
3-نفسه.ج2.ص
4-نفسه.ج2.ص617
5-نفسه.ج2.ص599
6-نفسه.ج2.ص616
7-نفسه.ج2.ص351
8-نفسه.ج2.ص295.294

وكانت المخالعات لأزواجهن في تحميلهن لمخالعهن من الصداق .وذلك بان تعطي من نقد زوجها الثاني وبرضاه ومن المال الكالي،وهذا في حالة رضا الزوجة وأبيها بالطلاق ن،وهنا ياخد كل الصداق (1).

الأسرة

الأسرة رباط مقدس فكانت النفقة والكسوة على الزوج ،فاذا غاب تبقى النفقة على زوجته واولاده2.

وجرى العرف في المغرب الأوسط خاصة انه ادا حدثت مشكلة بين الزوجين يطلب احد الزوجين من القاضي إرسال أمينة من النساء لمعرفة من المعتدي منهما ،وكانت نفقة الأمينة ومؤونتها تكون على من طلبها 3.

وكانت النساء من عادتهن تغار على زوجها ،خاصة إذا وجدت من تنافسها في زوجها ،وهو يدل على مدى ثقة المرأة في زوجها،بحيث تبدل المرأة أقصى جهدها لتكسب رضا زوجها .اذ تتزين لأزواجهن بحلل وأقراط والتيجان والاسورة والخلاخل 4.

وان كان بعض الوئام والتفاهم بين الزوجين لدى الكثير من العائلات إلا انه لا يمكن أن يخلو لدى بعض العائلات مشاكل.بحيث أن هناك من يتزوج زوجة ثانية بدون ادن الأولى،ومع ذلك فكانت الزوجة تقبل بأمر الواقع (5)................

وكان يقع الشجار بين الزوجة وزوجها وهنا تذهب الزوجة إلى بيت أبيها (6)
وبعض النساء يهربن من عصمة ازواجهن الى رجل اخر ودلك لفسوقهن(7).

المازوني .الدرر المكنونة.ج2.ص463
2-نفسه.ج2.ص503
3- كمال أبو مصطفى.جوانب من حضارة المغرب الإسلامي.ص18
4-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص622
5-نفسه.ج2.ص254
6-نفسه.ج2.ص501
7-نفسه.ج2.ص498

وهناك من يخاصم زوجته ويؤذيها ويسيء عشرتها وكانت تكره منه دلك فتذهب إلى بيت أبيها ،فيتدخل الأولياء للإصلاح بينهما ويردونها إلى بيتها ويتعهد الرجل عدم إساءتها،لكن سرعان ما يعود إلى فعلته السابقة فيشتمها وتفر منه،فيستشفع عند احد أقاربها فيردها إلى بيتها وحلف ألا يؤذيها ،فعاود ضربها وجرحها فرفع أمره إلى القاضي فعزلها عنه(1).

العلاقة بين أفراد الأسرة

أما العلاقة بين الآباء والأبناء فكان يسودها الاحترام والعطف والحنان.وحتى في حالة الطلاق فكانت تتحمل نفقة ابنها إلى البلوغ ولكن عند مراجعة الزوجة تسقط النفقة عنها،هذا إذا وقع اقتران الزوجين عسر على الزوج القيام بالمؤونة المتعددة.وهذا شهادة العادة ،ولهدا يرغب الزوج صرف نفقة الولد على أمه (2).

هذا لا يعني كل الأولاد طائعين لاولياءهم ،بل أن هناك عقوق الوالدين مثل الكلام السيئ الابن لوالده مما ينجرسخط الاولياء على أبنائهم وخاصة الأب ن،مما يدفع الآباء أحيانا إلى نبذ ابنه والتبرؤ منهن،ويصرح بذلك ألا يطأ الابن داره مثل قوله "بالحرام لا رميت له ذراعا طول الدنيا "ومع دلك يعود الابن إلى دار أبيه لرؤية أمه(3).

المشاكل العائلية

وهناك تقع خلافات بين العائلة والأقارب ،كمن تشاجر مع صهره ،وكانت تؤدي هذه الشجارات إلى القطيعة بين الأقارب والعائلة ،بحث تؤدي بالعائلة إلى الرحيل والإقامة في مكان آخر غير الإقامة مع الأقارب (4).

كما كانت تقع خلافات بين الزوجة وأخيها بسبب مراجعتها لزوجها وهنا اقسم الأخ ألا تأتي بيته ولا تعاشره ولا تواصله (5).

1-المازوني .الدرر المكنونة.ج2.ص350
2-نفسه.ج2.ص629
3-نفسه.ج2.ص618
4-نفسه.ج2.ص642
5-نفسه.ج2.ص619

وجود وكذلك بعض الخلافات والخصومات بين الزوجة وحماها،وقد تصل هذه الخصومات إلى حد العداوة المستحكمة بين الطرفين،وبالتالي يكون التشاحن والتباغض والحسد(1).

أعمال المرأة

المرأة ترعى شؤون زوجها حتى عند المرض والساعات الشدائد،وكانت المرأة وأبنائها يرثون في حالة وفاة الزوج من جميع ما ترك،إلا أن أناس كانوا يمنعون النساء من نصيبهم من الإرث واشتهر ذلك عندهم خلف عن سلف (2)

وفي حالة غياب الزوج غيبة طويلة بحيث لايعلم له مستقر وترك بلده أرضا أو عقارا أو دارا فان القاضي يبيح للزوجة بيع ذلك وإنفاق ذلك على أبناء الزوج الغائب الصغار وزوجته ،خصوصا في حالة حدوث مجاعة تجتاح البلاد3.

وكما كان أهل المغرب الأوسط يحرصون على أن لا تخرج ممتلكاتهم خارج نطاق الأسرة في حالة الرغبة في بيعها .

وكما جرت عادة البوادي أن الزوج يتصرف في أملاك زوجته ويستغلها 4.

وكما وجدت عائلات ثرية كبيرة ويعرفون بأعيان البلد ،حيث كانوا يملكون عقارات وارضي شاسعة وماشية وغير دلك من الممتلكات ،ولهم عبيد وخدام يخدموهم ،وكانوا يتمتعون بنفوذ معنوي لد ى الناس ،وفي بعض الأحيان يتدخلون حتى في القرار السياسي 5.
أما الأشغال المنزلية فهي من اختصاص المرأة حيث توفر الرعاية والقيام بأعمال وأعباء البيت ،حيث تقوم بغسل الثوب بالماء والصابون 6.

أما الطهي فقد كانت تستعمل القدر للطهي على الفرن،وتستعمل الخضر في الطهي مثل البصل واللفت والملح والقرع والسمن واللحم 7.

1-المازوني .الدرر المكنونة .ج2.ص550
2-نفسه.ج2.ص97.111
3-كمل أبو مصطفى .جوانب من حضارة المغرب الإسلامي .ص20
4-المرجع نفسه.ص20
5-المازوني. المرجع السابق.ص272
6-نفسه.ج1.ص79.51
7-نفسه.ج2.ص706

كما كانت أكلة الادام من أشهر الأكلات ،كذلك كانت الفواكه ،و الفواكه اليابسة من أطيب الأطعمة 1.

كذلك كانت المرأة تصنع الخبز وذلك بان تعجن الدقيق بالماء،وكما تدخل الثريد النار ويتعرق فيها وذلك حتى يصبح رطب سهلا للأكل .وكما كانت تصنع الكعك 3

وكما كان هناك مخازن للزيتون،بحيث كانوا يستعملون الزيتون في الآكل وإنتاج زيت الزيتون،وكانوا يستعملون القرب لضخ اللبن الذي يستعمل كطعام 4.

وهناك كانت عادات سائدة لدى النساء مثل شراء الصوف وتغسله وتمشطه وتغسله لنسجه ،وكذلك تشتري الكتان وتنسجه مع الصوف .

كما كانت المرأة تقوم بعملية الطرز والخياطة 5، والاستسقاء –جلب الماء –،وغسل الصوف وجلب الحطب،وكانت تطهر جلد الحيوان بالدبغ وذلك حتى تستعمل في المنفخة من زينة وفراش على الأرض 6.

الزي التقليدي والزينة

كان البربر في اغلب الأحيان لا يغطون رؤوسهم المحلوقة .وكان أهل البدو يشتملون الأثواب اشتمالا 7،ويلبسون أيضا الخاتم المنقوش للزينة.وكما كانت هناك ملابس مصنوعة من القطن والكتان والصوف 8.

وكما كان لباس الرجال السراويل والدراعة والعفارة والمحشو ،والثوب الرومي كان يلبس في الشتاء ليقي من البرد يسمى **الدوندين** ويقال انه لباس مقتصد لا إسراف فيه 9.

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج1.ص747.717
2-نفسه.ج1.ص55
3-نفسه.ج2.ص707
4-نفسه.ج1.ص100
5-نفسه.ج2.ص458.457
6-نفسه.ج1.ص55
7-عبد الرحمن ابن خلدون .المقدمة .ج2.ص380
8-المازوني الدرر المكنونة .ج2.ص83
9-المازوني.الدررالمكنونة.ج2.ص83

أما زي النساء فكانت المرأة تلبس الخمار للستر وكذلك الجبة الطويلة1 .وكان لباس النساء الحرير والكتان والقطيفة والملحفة والقطن التي تلبس في الشتاء للوقاية من البرد 2.وكذلك كن يلبسن في أقدامهن الجوارب والخفاف3.

أما لباس أهل الذمة فكانوا يلبسون الزي المميز الذي يعرفون به لتمييزهم عن غيرهم عن المسلمين ،وهو لبس الرقاع على الأكتاف وشد الزنار في الوسط 4.وكما كانوا يلبسون الخفاف ويستعملون الفراء للباس5.

أما الزينة فكان الرجال يخضبون لحاهم بالحناء الحمراء أو الصفراء،أما النساء فكن يضعن خلاخل من فضة في أقدامهن،كما كن يحرصن على تزيين بالحلي مثل التحلي بالأساور الذهب وعقود الجواهر 6 والأقراط والتيجان والاسورة 7.

العلاقة بين أفراد الأسرة

كانت تربط بين عناصر السكان مجموعة من الروابط التي تبين ذلك التفاعل بين عناصر المجتمع،ومن ذلك الاستدانة وهي إعارة مبلغ من المال لشخص ما لأجل معين.

وهناك من كان يوثق دينه عند موثق،أو قد لا يوثق ،وذلك بان يقضي الغريم لرب الدين حقه لأجل محدد ،ويحلف له بذلك ،وعند حلول الأجل يرد له ماله8 ،وفي بعض الأحيان كان يؤجل رب الدين على المستدان إلى اجل اخروقد يكون هذا التأجيل بطلب من المستدان ،هذا وان مات صاحب الدين فعلى ورثته قبضه 9 ،وفي بعض الاحيان كان يتنكر المستدان مما يؤدي إلى النزاع بين الطرفين ورفع الأمر إلى القاضي فيصلحان عنده10

1-الونشريسي.المعيار .ج10.ص258./ج11.ص28.27

2-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص622.619

3-الونشريسي المعيار .ج3.ص206.249.100/ج10.ص259.247

4-المازوني.الدرر المكنونة.ج6.ص420

5-نفسه.ج1.ص254.-ج6.ص69

6-نفسه.ج1.ص100.102

7-الونشريسي .المعيار .ج10.ص374.159/ج12.ص637

8-المازوني.الدرر المكنونة .ج2.ص557

9-نفسه.ج2-ص33

10-نفسه.ج2.ص34

ومن ابرز المعاملات والعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة هي الوديعة،حيث جرت العادة عند الناس وهي أن يضع رجل وديعته عند رجل السوق تباع في المحل،وهي عادة على ما يبدو عامة شملت الحاضرة والبادية والدليل على ذلك آن رجل أودع عند رجل كساء له في مزود رجل على أن يحمله إلى تلمسان (1)،وهذا دليل على انتشار الوديعة في كل مكان.

وهناك من كان يخاف على وديعة مالية 2،وهنا يبدو التكافل الاجتماعي بين عناصر المجتمع .وهي قيمة أخلاقية ودينية تبن مدى تمسك الأفراد بالدين .

وتظهر هذه القيمة أكثر في أن الوديعة التي غاب عنها صاحبها مدة طويلة ولم يعرف ورثته،وهنا توضع عند القاضي 3،وهذا دليل على تمسك السكان البربر بتعاليم الدين .

إلا أن هناك العرب الدين لم يكن لهم عهد همهم إلا السلب وقطع الطريق واخذ الودائع وأمانات الناس ،مما أدى إلى انتشار الخوف وانعدام الآمن ،وأصبح الخوف عادة الناس في دلك الموطن،وهو دليل على انتشار الأعراب النهابين واللصوص .وهذا أدى إلى الهجرة الجماعية لبعض أهل القرى ،بحيث أخليت قرى بكاملها من سكانها 4.

الروابط الاجتماعية

ومن أهم الروابط الاجتماعية نجد القرض .بحيث أن هناك من الناس من كان يقرض مال للرجال ،وعند طلب المال من المستدان يحتال عليه بضياع المال ،ومن ذلك رجل اقرض إنسان دراهم وذهب ،وهنا باع الذهب ،وعندما طلب رب المال دلك ادعى ضياعه ،وهنا يبدو الاحتيال والكذب 5.

وكما كان هناك من يسال عن مقدار القرض الذي يجوز للعامل أن ينفق منه إذا سافر به للتجارة.ويبدو أن القرض لا حد له.

وأما الشيء الذي كان محل القرض ففي الغالب كانت الدراهم وفي بعض الأحيان الذهب.وهناك من كان يقرض المال إلى شخص ليشتري له سلعة ويوصلها إلى البلد المعين.لكن خالف الوصية وأرسلها إلى غير البلد الذي أوصاه العامل .وفي الأخير ضاعت السلعة6.

1-المازوني.الرر المكنونة.ج59
2-نفسه.ج3.ص61
3-نفسه.ج2.ص61
4-نفسه.ج3.ص63
5-نفسه.ج3.ص174.173
6-نفسه.ج3.ص175.174

الفصل الرابع

الشعائر الدينية

واهم مظاهر

الحياة الاجتماعية

الشعائر الدينية

تعتبر الصلاة عماد الدين لذلك أعطى سكان المغرب الأوسط أهمية قصوى للصلاة ،و اقامو المساجد في كل مكان حتى في القرى النائية،حيث كان السكان ينفقون لبناء المسجد ويضعون راتب خاص لإمام المسجد المقدم للصلاة 1

كما كان يوجد في العاصمة الزيانية العديد من المساجد ،ومن أهم هذه المساجد الجامع الكبير وجامع سيدي إبراهيم المصمودي،وجامع سيدي أبي مدين بقرية العباد ،وجامع سيدي الحلوي ،وهذه الجوامع الأربعة تقام بها صلاة الجمعة وصلاة العيدين 2

وقد زار الرحالة المصري مدينة تلمسان وذكر لنا طريقة الاحتفال بعيد الأضحى وقال: خرجنا للمصلى بظاهرها ،وحضر محمد بن أبي ثابت صاحب تلمسان صلاة العيد3.

ظروف إقامة الصلاة

ويذكر المازوني بعض الظروف والكيفيات التي كانت تقام بها الصلاة ومن ذلك يذكر عن قبائل البدو والرحل من العرب كانوا يسافرون من منطقة إلى منطقة أخرى .وهذا من طبيعتهم ،وكانوا ياخدون معهم عائلاتهم ،ويبدو انه سفر طويل وبعيد ،وكانوا يصلون ويقصرون الصلاة لأنهم في حالة سفر 4.كما يشير إلى حالة من كان يصلي على ظهر دابة 5.كما يشير إلى حالة من كان يصلي على ظهر سفينة للضرورة6

وكان هناك إمام لا تحتجب امرأته عن الناس .وكذلك وجود إمام فاسق. كما كان إمام قرية يقدم رجلا من طلبتها للإمامة بأحد مساجدها 7.

كما كانت حالات مستشكلة عن المصلي ومنها المشلول 8.كما كان هناك من كان ينسى صلاة ولم يذكرها إلا بعد فوات أوانها 9.وهناك من كانت تمتنع عن زوجها خوفا من برد الماء وضرره ومحافظة على الصلاة.كما كان هناك خطيب قرية اشترك مع أهلها في قتل محارب وامتنع الناس عن الصلاة خلفه10

1-المازوني،الدرر المكنونة،ج1،ص85
2-محمد بن رمضان الشاوش.باقة السوسان .ص205
3-محمود بوعياد.رحالة مصري يزور الجوائر في القرن التاسع الهجري.العدد 24.
4-المازوني .نفسه.ج1.ص219
5-نفسه.ج1.ص223
6-نفسه.ج1.ص224
7-نفسه.ج1.ص194
8-نفسه.ج1.ص198
9-نفسه.ج1.ص178
10-نفسه.ج1.ص198

ب-**الصيام** ويعتبر من أركان الإسلام الكبرى ويقصد به صيام شهر رمضان .يوجب الصوم لمن هو قادر ويسقط لسفرولمرض ولا يسقط لحق الزوجة التي كانت ضعيفة1

وكان بعض الناس يمسكون في يوم الشك في أوله حتى يثبت لمن يأتي من السفر ويأتي ويخبر عن الصيام وثبوت الرؤية.وهناك من نوى الفطر متعمدا بعد ثبوت الرؤية 2.وهناك من نوى الفطر ولم يفطر .فما كان منه إلا أن أتم اليوم ولا شيء عليه3.

الزكاة

الزكاة فريضة على كل مسلم ومسلمة بلغ النصاب من المال ودار عليه الحول.ومن دلائل فرضية الزكاة في الإسلام قوله تعالى –خد من أموالهم صدقة تطهرهم بها وتزكيهم بها – ومن السنة الشريفة قوله –صلى-في الصحيح عن عبد الله ابن عمر انه قال –سمعت رسول الله- صلى-يقول –أن الإسلام بني على خمسة –شهادة أن لا اله إلا الله وإقامة الصلاة واتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت .....-

وبالتالي فالزكاة مفروضة بالنصوص والإجماع ،وتجب الزكاة على العاقل البالغ أما الصبي والمجنون الذي بلغ ماله النصاب ودار عليه الحول فيؤدي عنه الزكاة خليفته4.

أما مقدار الزكاة 40دينارا اذا دار عليها الحول وان نقصت بجزء فلا زكاة فيها 6.وكان وقت إخراج الزكاة هو يوم عاشوراء ،لكن كان بعض الناس يقدم إخراج الزكاة عن يوم عاشوراء ودلك لكثرة المحتاجين وحاجة المساكين الماسة إلى المال في دلك الموسم 7.

توزيع الزكاة

كان توزيع الزكاة على مستحقيها له نتائج على الفئات الاجتماعية مثل ممن تتأكد حاجته إلى الزواج وهو بالتالي أتم نصف دينه بإعطائه له عدل من عدول الموضع8،أما الشرفاء فقد كانوا دو مكانة ومحترمين عند الناس وبالتالي هم أولى الناس في إعطاء الزكاة.خاصة من كان فيهم فقير ويتيم فهو في أمس الحاجة إلى المال بسبب موت رب البيت ولهم عيال وبالتالي كان الناس يحسنون إليهم وبدلك سدوا حاجتهم9.

1-المازوني.الدرر المكنوننة.ج1.ص162
2-نفسه.ج1.ص163.162
3-نفسه.ج1.ص162
4-نفسه.ج1.ص163
5-نفسه.ج1.ص250
6-نفسه.ج1.ص247
7-نفسه.ج1.ص270
8-نفسه.ج1.ص250
9-نفسه.ج1.ص251.250

أما المرابطون فتلجئهم الضرورة إلى أخد الزكاة مثل من له ديون كثيرة ،بحيث أن المرابطون لهم مكانة كبيرة في نفوس الناس .وكانوا ياخدون من الزكاة بقدر حاجتهم وقضاء دينهم 1.

إن أهم شيء يمكن ملاحته على توزيع الزكاة هو أن الفئة المعنية في الآية الكريمة التي تعطى الزكاة لم تطبق بحذ افرها .بحيث أن الاية وضحت العناصر المعنية بالزكاة،ألا أن الواقع يعكس غير ذلك.وكانت الزكاة توزع في غير محلها .حيث كان الولاة يقبضون الزكاة جبرا من الرعية حتى ولو تبلغ الزكاة المقبوضة النصاب الشرعي .ومع دلك لا يفرقوها في محلها .وكما أصبح نظام بيت المال وصرف ماله على مستحقيه من الفقراء كان قد فسد.حتى أن الشرفاء قد قصر الخلفاء في حقوقهم وحقوق أولادهم وأهلهم 2.

وفي هده الظروف كان لابد من وجود البديل .ويهدا لعبت الزاوية دور رئيسي في .بحيث أن الزاوية كانت تجمع الزكاة وتفرقها على مستحقيها من الفقراء والضعفاء والابن السبيل والأعراب والاضياف وطلبة العلم وغيرهم3.

وكانت الدولة تجمع الزكاة عن طريق السعاة 4.أو قد تكون عن طريق تفويض شخص من طرف الناس .بحيث يعطوه زكاة أموالهم ويفرقها على الفقراء .وكان يستشيرهم فيما يحتجون ليشتري لهم كسوة أو طعام والباقي يفرقها عليهم نقدا بمقدار حاجة كل واحد منهم .وكما كان هناك من كان يتصدق على أهله باعتبار أن الأهل أولى من غيرهم 6.

كما كان هناك فئات أخرى محتاجة إلى الزكاة من مرابطين فقراء 7.والمستدين 8.وكذلك اليتيمة الضعيفة التي هي مقبلة على الزواج وهي بالتالي محتاجة إلى الزكاة لشراء مستلزمات الزواج9.وكذلك من يملك أرضا يخدمها لا تكفيه لمعاشه فهو محتاج إلى الزكاة .10

إلى جانب هدا وجد من ياخد الزكاة وهو غير محتاج إليها مثل المحتالين والجشعين11.كذلك وجد فقيه من المرابطين يؤثرونه في إعطاء الزكاة مع وجود الضعفاء في المحل هم في أمس الحاجة إلى تلك الزكاة12.

أما الأشياء التي كانت تجب فيها الزكاة هي الأموال والتي تقدر ب 40دينار.كذلك نجد الأغنام كمن ذبح الشاة وتصدق بها على الفقراء.كذلك نجد زكاة الأرض ويسمى الخراج .ونجده خاصة عند أهل القرية 13،وهي في مختلف الخضر والفواكه14

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج1.ص252
2-نفسه.ج1.ص274.251
3-نفسه.ج1.ص270
4-نفسه.ج1.ص269
5-نفسه.ج2.ص716
6-نفسه.ج1.ص270
7-نفسه.ج1.ص270
8-نفسه.ج1.ص273
9-نفسه.ج1.ص716
10-نفسه.ج1.ص275
11-نفسه.ج1.ص273
12-نفسه.ج2.ص252
13-نفسه.ج1.ص273
14-نفسه.ج3.ص1

2-الرعاية و التضامن الاجتماعي

ومن أمثلة التكافل الاجتماعي عن رجل يعطيه الناس من زكاة أموالهم ليفرقها على الفقراء والمساكين وكان يشاورهم فيما يحتاجون ليشتري لهم الكسوة والطعام وبعد دلك يوزعها عليهم نقدا بمقدار ما يحتاجون إليه لسد حاجتهم في الإنفاق.

وكانت الرعاية تمتد في بعض الأحيان إلى اليتامى مثل يتيمة ضعيفة التي تريد الزواج.وهنا كانت تعطى من أموال الزكاة لشراء مستلزمات الزواج 1.وقد تعدى هدا التضامن إلى إعطاء الصدقة القضاء حوائج الناس وابن السبيل والمسافر والمقيم الذي هو في أمس الحاجة إلى رعاية مثل اليتامى والمطلقة إلى غير دلك 2.وهناك من الناس من أوصى بثلث ماله للفقراء والمساكين والقراء بالجامع 3.

دور الزاوية والمرابطين في الرعاية الاجتماعية

حيث كان المرابطون ياخدون المال من أيدي الغصاب ويوزعونه على من هو تحت رعايتهم من اليتامى والفقراء وابن السبيل ودلك حتى يقوم على حوائجهم 4.وقد كان المرابطون أيضا ينفقون على من يرد إليهم من الاضياف والأعراب وابن السبيل وغيرهم حيث كانوا يقيمون بشكل مؤقت في الزاوية وكان على المرابطين حق رعايتهم 5.وكما كانت الزاوية ملجأ للهاربين مثل امرأة هربت من أبيها لأنه أراد تزويجها بمن لا ترضى به6.

كما كانت الرعاية الاجتماعية حتى في الساعات الحرجة والأزمة الشديدة مثل المجاعة الكبرى التي حدثت حيث كان واجب على كل مكتفي اجتماعيا أن يعطي جزءا من ماله لفقير أو فقيران 7.كما أوصت امرأة بثلث ملها للجامع لمصلحة العامة8.

وكما كان هناك وصي على يتيم حيث ينفق عليه من مال اليتيم ويعلمه كتاب الله بإنفاق من جزء من ماله في دلك 9.وهناك من كان يتبنى بنت زنا ويتبناها كفالة10.

وكما أن اليتيم كان له حقوق كما جرت عادة الحكام الحرص على رعاية الأيتام.كما أن اليتيم يمكن أن يكون له تركة والده مثل عقار أو حيوان أو عينا آو عبيدا فهو محتاج إلى من يقوم به وينفق عليه11.

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص716
2-نفسه.ج1.ص274
3-نفسه.ج3.ص261
4-نفسه.ج3.ص150
5-نفسه.ج1.ص270
6-نفسه.ج2.ص544
7-نفسه.ج2.ص746
8-نفسه.ج3.ص30
9-نفسه.ج3.ص116
10-نفسه.ج2.ص431
11-نفسه.ج2.ص628

3-القضاء

كان القضاء يتولاه قضاة من طرف الخليفة وهم مستقلون عن الأمراء 1،وكان القضاة لهم وجاهة ونفوذ2.وكان القاضي له مكانة كبيرة في السياسة والعلم .وكان قاضي الحضرة يسمى قاضي الجماعة لان نظره يشمل جميع المدن الأخرى ،ويعبر عنهم **بالنواب الشرعيين** باعتبار نواب قاضي الجماعة ،وأيضا هو الذي يولي القضاة بالعاصمة أو بقية المدن أقاليم الدولة ،كما له القدرة في عزلهم 3.

وكان القاضي ينفذ الحكم الذي قضا به عن طريق أعوان له 5.وكما كان القاضي يقوم في التحقيق في قضية ما وذلك عن طريق أعوان له متخصصين في دلك 6.

اختصاصات القضاة

وكان يتنوع إلى عدة أنواع منها قاضي الانكحة .حيث كان يعقد الزواج ويفصل بين الزوجين مع حضور شهود عنده 7.إضافة إلى وجود قاضي الجنايات،بحيث كان يفصل بين منازعات المتخاصمين،كما كان ينظر في قضايا الفساد مثل السرقة وغيرها من الانحرافات،بحيث كان يسجن السارق بأمر من القاضي 8

كما كان يفصل بين المتخاصمين،اذ يقعد القاضي للنظر في مسالة المتخاصمين وسماع حجتهما وبيناتهما .وهناك من يذكر القضية ما يرجع به دعواه .ويزين دلك حتى يعتقد السامع أن الحق منصرف إليه ويحميه دلك.ولو سمع إلى الأخر كما سمع من الأول زاد معتقده السابق بعلمه بخلاف دلك9.

كما وجد قاضي الأهلة وقاضي العسكر وهو قاضي المحلة.وكذلك قاضي الفريضة .وكما جرت العادة بان من يراد تقديمه للقضاء ببعض الجهات فيحضر عند قاضي ويلقي عليه كتابا –مسالة- من كتب القضاء.فان أجاب عنها عينه في القضاء .فان لم يجب عنها لا يقبله للقضاء10.

1-أبي عبد الله محمد الأنصاري.فهرصة الرصاع.تحقيق محمد العنابي .ط1.جامع الزيتونة.تونس.ص.36

2-المازوني.الدرر المكنونة.ج3.ص506

3-الأنصاري.المرجع نفسه.ص36

4-المازوني.الدرر المكنونة .ج2.ص506

5-نفسه ج2.ص506

6-نفسه.ج2.ص625

7-نفسه.ج1.ص351

8-نفسه.ج1.ص352

9-نفسه.ج2.ص468

10-الانصاري .نفسه.ص36

وفي بعض النواحي من المغرب الأوسط يجتمع القاضي والعلماء في مجلس كل يوم خميس وتنفد بينهم المسائل المعضلة والمباحث والعلماء .

إلى جانب هدا وجود قضاة مختصين في الأحوال الشخصية من العصمة والمواريث والوصايا والهبات والأوقاف...الخ .

بالإضافة إلى وجود قاضي المعاملات من بيوع وقروض وشركات ....ومن القضايا ما الفصل يعرض على المجلس العلمي الشرعي .الذي ينعقد بمحضر الملك نفسه.ويقع فيها على هدا المستوى 1.كما كان القاضي يتدخل حتى في تعيين الأئمة في بعض الأحيان 2.وكان ينظم السوق والتجارة ويحارب الاستغلال والغلاء الفاحش3

الشهود

آما الشهادة فكان معمول بها عند القضاة من اجل معرفة الحق.من دلك يشير المازوني إلى شهود كانوا يشهدون عند القضاة لحقوق بعض الناس على بعض .ويشترط في الشهود موافقة ونظر القاضي فيه مع وجود أهلية لدى الشاهد4.

وهناك تكون الشهادة غير مقبولة مثل شهادة امتلاك ارض كانت مند 60سنة 5.وكان بعض البدو لا تقبل شهادتهم 6.وفي مشاكل الأسرة التي تعرض على القضاء كان القاضي يعتمد على الشهود وتحليف المشهود عليهباليمين7.

التوثيق والموثقين

وهناك طريق أخرى لتثبيت وإقرار أمر معين ألا وهي التوثيق والموثقين فقد كانوا يكتبون الصحة والجوار والتطوع8.ومن ذلك رجل استدان دينار وضمنته والدته بوثيقة مشهودة .ومن جملة فصول الوثيقة مانصه"واعترفت فلانة ولدها فلان للمستدين انهما انهما لا يحدثان الكائنة له ببلد ندا ولا هبة ولا صدقة حتى يقضي العدد المذكور لصاحبه المذكور والضامنة 9.وهنلك منازعات اجتماعية مثل نزاع حول مطمورة بين حفيد صاحب المطمورة وبين مشتري الدار الذي توجد المطمورة قرب جدار داره .وهناك خلاف حول جنة كانت بيد رجل نازعه فيها منازع وبقي النزاع حتى مع المتنازعين 10.

1-الزركشي.تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.تحقيق محمد ماظور .بدون طبعة.تونس.1966.ص37
2-المازوني .الدرر المكنونة.ج1.ص19
3-نفسه.ج2.ص740
4-نفسه.ج3.ص181
5-نفسه.ج3..ص188.187
6-نفسه.ج3.ص188
7-نفسه.ج3.ص189
8-نفسه.ج3.ص183
9-نفسه.ج3..ص186
10-نفسه.ج3..ص186

تجهيزات البيت وملحقاته

كان البيت يحتوي على اثاث مثل الأسرة والمداهن والصناديق .وهناك من كان يحلي هذاالأثاث (1)كما وجدت الحصير والرف للنوم (2).وكان للبيت لواحق به مثل الصور

والسور والفناء إضافة إلى وجود الجنان والمطمورة لتخزين القمح.ومخزن الزيتون وكذلك وجود حمام (3).كما وجد الفرن لطهي الأكل والخبز والحلوى14.وقد كان هناك أيضا رحى الماء يطحن القمح بها 15.كما وجدت ساقية التي يرفعونها من الوادي وذلك من اجل جناته (4)

المراكز العمرانية

إن أهم مركز عمراني كلن منتشر في المدينة أو القرية هو المسجد.حيث كان يبنى بالحجر والجير مواد أخرى .وكانوا يستعملون الدواب كآلات البناء .والذي يقوم ببناء المسجد هو البناء .بمساعدة بعض الناس .وكان المسجد متصل بالبيوت المجاورة (6).

وكان المسجد يحتوي على رحابة كبيرة .وكان مزود بالحصير .وفي وقت الحر كانوا يخرجون الحصير ويصلون في رحابة المسجد (7).كما أن الإمام يتلقى راتبه في بعض الأحيان من طرف الناس.كما كانت توضع أجرة للمؤدب الذي يعلم الأولاد لقراءة وأحكام الصلاة3.وتعلم جزء من القرءان (8).

كما وجدت الزوايا ويقوم عليها مرابطون وكانت تلعب دور رئيسي في المجتمع.فهي ادات لتعلم الدين والعلوم .وأيضا لفعل الخير والقيام على الفقراء والمساكين ونشر الإسلام(9).

1-المازوني.الدررالمكنونة .ج3.ص186.185

2-نفسه.ج1.ص252./ج3..ص650

3-نفسه.ج1.ص164.57.55.45

4-نفسه.ج1.ص55

5-نفسه.ج2.ص252./ج2.ص707

6-نفسه.ج2.ص713

7-نفسه.ج1.ص222.223

8-نفسه.نفسه.ج1.ص32

9-نفسه.ج1.ص174

الأمراض والأوبئة

الطاعون

يعتبر مرض الطاعون من اخطر الأمراض لأنه يحصد أرواح كثيرة من الأرواح.ومن أمثلة الطاعون .الطاعون الذي توفي فيه الإمام احمد ابن زاغو سنة 845 ها (6).

وكذلك مصيبة الوباء في عهد أبي عبد اله والذي اجتاح مناطق عديدة من الدولة .وهذا الوباء الأخير من القرن 9ها /15م.وقد انتقل من إلى تلمسان من المغرب الأقصى وهو ما يؤكده أحدا الرسائل الاسبانية المؤرخة في 25افريل 1494ها ذكر فيها صاحبها أن الطاعون منتشر بها .وفي كل يوم يموت نحو ألف ومائتي شخص .وبلغ عدد الضحايا حتى ألان 20000 وانتشر هذا الداء في بعض جهات من تلمسان

ويبدو أن الطاعون بدا بمكناسة سنة 1418/818م(7).كما حدث الطاعون سنة 871موقتل محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني .وكانت مدينة العباد من المناطق المتضررة كثيرا بهذا الطاعون .كما حدث الطاعون بمكناسة سنة 1415ها(8).

اثر الأمراض على السكان

وقد أدى وباء الطاعون إلى التراجع السكاني الذي عرفه المغرب العربي .ومع ذلك بقي النمو الديمغرافي ينمو مما أدى إلى نمط الترحال منذ القرن 13م (9).وهناك أمراض أخرى مثل الأمراض تحدث عن البرد القديم .وهناك ألام تحدث في بطن المرأة يسميها الأطباء" الرجا " ومرض السلس .وهناك ألام شلل الرجلين .وهناك أمراض الجنون والجذام والبرص (10).

كما كان الجريح يداوي جرحه بعظام الأنعام إن كانت ذكيا (11) وكان هناك من لا يستطبع استعمال الماء البارد لمرض به(12) إلى جانب هذا نجد الأعرج (13).كما وقع وباء 748ها وافنا قرى بكاملها (14).

1-المازوني.نفسه.ج1.ص223.222
2-نفسه.ج1.ص32
3-نفسه.ج1.ص174
4-نفسه.ج1.ص85
5-نفسه.ج2.ص32
6-محمد بن عمرو الطمار .تلمسان عبرى العصور.ص431
7-المازوني.الدرر المكنونة.ج1.ص85
8-المازوني .نفسه.ج2.ص544
9-محمد بن عمرو الطمار.تلمسان عبرى العصور.ص222
10-مختار حساني .الدولة الزيانية من بداية الانحطاط إلى السقوط.ص50
11-المازوني.الدررالمكنونة.ج1.ص92
12-نفسه.ج1.ص93
13-نفسه.ج1.ص94
14-ج1.ص9

أما الأوبئة فنجد حدوث المجاعات مثل المجاعة التي حدثت في حواضر المغرب الأوسط وامتدت إلى الأرياف وبالتالي نقص الطعام والفواكه والادام في المدن الى درجة كبيرة .وارتفع بذلك سعر المواد الغذائية .وهنا وجد بعض التجار فرصة لزيادة الاسعار اكثر واحتكار السلعة .وقام المحتكرون الذين يشترون الطعام من الحاضرة ويبيعونها في البلد بثمن مرتفع وذلك من اجل الربح على حساب المجتمع وذلك بزيادة الأسعار .وفي ظل هذه الحالة نزح الضعفاء والفقراء من القرى واستقروا في المدينة طلبا للقوة والمعيشة.وكما أن أصحاب المواشي والجنات لجئوا إلى رفع أسعار سلعهم (1).

كما وقعت مجاعة كبرى سنة 776ها (2).وهنا من رأى أن ريحا هوجاء عجت في هذه السنة على المغرب الأوسط فأهلكت الحرث والنسل واقتلعت كل شيء فانتشرت المجاعة بالجزار .ويومئذ تصدق السلطان بنصف جباية خزينة على الرعية وفتح ابواب خزائنه الخاصة للمحتاجين وأمر بجمع الفقراء والمساكين ومن لا مأوى لهم من الناس بالمارستانات والمحلات العمومية وقدر لهم فيها أرزاقهم حتى انفرج عنهم الكرب وارتفعت المسغبة (3)و سبب المجاعة هوالقحط (4).

الحرف التقليديةوالعادات والتقاليد

لقد لقدكانت في الدولة الزيانية العديد من الحرف مثل الفروسية وهي رمز الشجاعة والإقدام .وكما كانت تستعمل حتى في الحرب والجيوش مثل الفرسان وهو عنصر هام لتحقيق النصر .لان الفرسان أقوى من المشاة (5).كما وجدت حرفة صيد الحيوانات أو الطيور (6)كما كانت هناك مهنة طحن القمح بحيث وجد من كانت له رحى ماء يطحن بها القمح وفي المقابل يأخذ أجرة من يطحن له مثل ذرة مخلوطة بالشعير (7).كما وجد أهل الصنعة والحياكة .حيث كانوا يكترون المناسج من النيارين على علم وأجرة معلومة من غير اجل وكان صنع الملحفة ب5دراهم للنيار.وكما أن الشغالين يتفقون مع أهل الصنعة لأجرة معلومة فإذا تم الشغل اخبره الحياكة مانقص من غزله في منسجه وأصبح ذلك عادة وعرفا لابد منه .وهنا يرضون بالاحتجر من غير اعتراض (8).كما وجدت مهنة التجارة بحيث كانت المورد الأساسي لكثير من السكان .وكان العرب يسافرون للتجارة (9). كما وجدت مهنة كتابة المصاحف ونقش الخاتم والخياطة (10)وكما وجدت مهنة الصياغة وكان صاغة يقومون باعتماد الذهب والفضة بالنار (11).

1-المازوني.الدرر المكنونة .ج1.ص163
2-نفسه.ج2.ص201
3-نفسه.ج2.ص747.746
4-نفسه.ج2.ص702
5-عبدالرحمن الجيلالي.تاريخ الجزائرالعام.ج2.ص186
6-المازوني.الدرر المكنونة.ج2.ص460
7-نفسه.ج3.ص39
8-نفسه.ج2.ص708
9-نفسه.ج2-ص709
10-نفسه.ج2.ص707
11-نفسه.ج2.ص7

العادات والتقاليد

أما العادات والتقاليد فان المجتمع كانت تتحكم فيه مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف بحيث أصبحت شيئا مقدسا لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزها وتناسيها.ومن عادة البوادي شراء الطعام لا يكتاله من بائعه حتى يهز الصاع في كيله ويحركه بيده (1).إضافة إلى هذا كانت هناك عادة البوادي أن الزوجة تخرج وتتصرف في أشغالها بادية الوجه و الأطراف حيث كانت تخرج المرأة للاستسقاء وغسل الصوف وجلب الحطب (2)

وكانت هناك أيضا عادة لدى سكان البوادي أن يأتي رجل بلصوص معه ويهرب بامرأة كانت قد مكثت معه أياما.تارة يبيت معها في الدوار.وتارة في دوار آخر .وكانوا يأتون في هيئة محاربين شاهري السلاح (3).

ووجدت عادة أخرى وهي إذا تزوج الرجل بامرأة يخلو بالمرأة في بيت أبيها قبل الدخول بها .وإذا أراد المبيت عندها يعلمها أو يعلم أهلها .وإذا لم يفعل الرجل هذه العادة المألوفة تلحق الزوجة وأهلها معرة كبيرة ربما يؤدي إلى الفراق الزوجين ويقع سوء تفاهم(4).

وكما كانت هناك عادة شائعة لدى الأغنياء وهي أن طبقة الأثرياء كانوا يخطبون إلا من الأثرياء و ذوي الوجاهة(5).كما وجدت عادة في البادية وهي عادة السقي .حيث كان أهل القرية يرفعون ساقية من الوادي وحقوقهم فيها متساوية.ويسقى في الأسفل قبل الأعلى والأعلى قبل الأسفل على حسب حاجتهم(6).

وكان أهل المغرب الأوسط لهم عادة طيبة وهي مشاركة النصارة في الاحتفال بالنيروز وعيد ميلاد المسيح أي عيد يناير .وكانوا يستعدون لها ويجعلونها كأحد الأعياد .ويتهادون بيتهم صنوف الأطعمة وأنواع التحف .ويترك الرجال والنساء إعمالهم صبيحتها تعظيما لليوم ويعدونه راس السنة .كما اعتاد البربر في العنصرة على إجراء المسابقات أو مباريات في سباق الخيل .وتقوم النساء بتزيين بيوتهن وإخراج الثياب إلى الندى في الليل ووضع الورق الكرنب والخضرة في ثيابهن .ويحرصن على الاغتسال في ذلك اليوم .وكانوا يقومون في عيد النيروز ببيع اللعب المصنوعة على شكل صور تسمى الزيافات (7).

كما نجد عيد لليهود يسمونه **عيد الفطر** *جرت عادتهم فيه على صنع* أرغفة الخبز وإهدائها لجيرانهم المسلمين على سبيل المودة وحسن الجوار(8).

إلى جانب هذا نجد عادة إكرام الضيف إلى درجة أن هناك من لم يكن له مال فيلجا إلى بيع ممتلكاته من ماشية وارض من إكرام الضيف.وأما الإنسان الذي يقصده الضيوف ولا يكرمهم فيصبح عرضة في متناول كلام الناس.ومزق عرضه(9).

1-المازوني.نفسه.ج3.ص142
2-نفسه.ج3.ص610
3-نفسه.ج1.ص51
4-نفسه.ج2.ص706
5-نفسه.ج1.ص196
6-نفسه.ج2.ص441
7-نفسه.ج2.ص464
8-نفسه.ج2.ص490
9-نفسه.ج2.ص71

أما العادة الجارية في الجنائز أن الميت يلقن الشهادة عند الاحتضار وكانت المرأة تغسل زوجها الميت 2 وكان الميت يكفن في شقه 3 وكانت المرأة المتوفي عنها زوجها تعتد عدة الوفاة 4 .هناك من كان يتوفى عنها زوجها ومكثت بعد وفاته سنين وأم تتزوج ولم تنجب اولاد5 .

وهناك عادات أخرى نجدها منتشرة في البادية مثل معلم يأخذ الزبدة في البادية .إذ في فصل الربيع يجعلون له نصيب من الزبدة عن كل البيوت الذين عنده ولد يتعلم من المعلم ويسمون هذا العطاء بخميس الطالب 6.

وكما جرت عادة أهل البادية أن الرجل يحبس عامل ليعمل له في بستانه في الخضر والفواكه ويكون للعامل نصف الإنتاج والربح.وكما كانت البذور وإحضارها من التزامات العامل وليس رب الارض7.

وهناك عادة القضاة أن يبيع القاضي عن النساء التي ورثت دار ومحاجير إذا ارادو ا بيعها . وهذه المواريث خلفها مورثهم رهنا في الدين 8.

الأضحية

وهي عبارة عن شاة تذبح في عيد الأضحى إلا أن أهم العادات في نحر الأضحية عند عيد الأضحى هو يقتدى بالإمام في ذبح الأضحية لان الأضحية من توابع الصلاة 9.

وبعد صلاة العيد والخطبتين يذبح الإمام أضحيته بيده خارج الجامع الكبير عند باب الضحية ويراه المصلون.ثم يذهبون إلى ديارهم لذبح أضحيتهم.وفي يوم العيد يوم عطلة عند الناس لا يعملون فيه .وتخرج في يوم العيد بناة المساكين للسؤال عن الصدقة على أبواب الدور 10.وهناك كان الناس يتصدقون عليهم وعلى الضعفاء والفقراء و المساكين بجزء من الأضحية .وكما كان هناك من يستأجر أجير فكان يطعمه مع عياله من الأضحية 11.

كما كانت تقع مشاكل حول الأضحية ومن ذلك من مرضت له الأضحية وخاف عليها وذبحها وباع لحمها12.

1-المازوني.الدرر المكنونة.ج1.ص235
2-نفسه.ج1.ص242
3-نفسه.ج1.ص351
4-نفسه.ج2.ص625
5-نفسه.ج2.ص649
6-نفسه.ج3.ص74
7-نفسه.ج3.ص82
8-نفسه.ج3ص122
9-نفسه.ج3.ص295
10-الشاوش.باقة السوسان .ص378.377
11-المازوني.نفسه.ج1.ص293
12-نفسه.ج1.ص295

الخاتمة العامة:

إن الحياة الإجتماعية في القرن التاسع هجري (15م)، و بالخصوص في المغرب الأوسط، التي شهدت مجموعة من التحولات الإجتماعية كان لها دور في سير الأحداث في القرن التاسع الهجري/15م،
ومن جملة هذه التحولات الكبيرة هو إتجاه المجتمع و بطريقة غير شعورية إلى التصوف الإسلامي، و الذي بدأ بشكل واضح في أواخر القرن الثامن الهجري (14م)، و ذلك إثر إزدياد التحرشات الإسبانية و البرتغالية على سواحل المغرب الأوسط.
و في هذه الظروف ظهر التصوف، و الذي لعب دور كبير في توجيه المجتمع، و تسيير شؤونه، في وقت ضعفت الدولة الزيانية و عجزت عن فرض سلطتها على كامل الجهات.

بالإضافة إلى هذا عدم الإستقرار السياسي، و يتجلى ذلك في الصراع بين القبائل البربرية و القبائل الهلالية ،مثل قبائل الديلم و رياح و سويد و بني عامر، و التي كانت تغير على القبائل البربرية، و هذا دأبها سلف عن خلف، و هم قطاع طرق و نهابين، و إجتمع الناس لقتالهم و إنتصروا عليهم.
إلا أن في كثير من الأحيان، أصبحت القبائل البربرية قوية، بحيث أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم، بل إنما يداريهم بالأغطية و الأنعام ببعض المناطق، و نصب عمالهم بها.
و أدى هذا الوضع إلى إزدياد نفوذ العرب في بعض الجهات الشمالية، و صارت هذه القبائل في حالة شبه إستقلال عن الدولة الزيانية، وشكلت إمارات و مشيخات مثل إمارة السويد في نواحي شلف إلى أراضي مغراوة، و إمارة حصين في نواحي التطري إلى الجزائر، و إمارة بني عامر التي إمتدت من جنوب تلمسان إلى تيهرت و إلى معسكر و إلى وهران.
و مما ساعد على هذا الوضع المتأزم ضعف و تفكك الدولة الزيانية، و صراع هذه الأخيرة مع جارتها الدولة الحفصية و الدولة المرينية حول مناطق النفوذ.
و ما زاد من ضعف الدولة الصراع بين أفراد الأسرة الزيانية حول العرش، مما جعل الدولة الزيانية تدخل في حروب داخلية مستمرة أدت إلى الضعف و عدم الإستقرار.
و في ظل هذا الوضع كان لسيطرة القبائل الهلالية نتائج وخيمة في إزدياد إضطراب و عدم الإستقرار السياسي و الإجتماعي حيث أصبحت هذه القبائل تضغط على السلطان ليتنازل لها على مناطق النفوذ.

و على الرغم من سلبيات هذا الإمتداد الهلالي في جهات كثيرة، إلا أنه ساعد على إستقرارهم و إختلاطهم بالبربر، مما أدى بهم إلى الخروج من نمط البداوة إلى نمط التحضر و الإستقرار، مما ساعد على إستعراب البربر.

إضافة إلى ما سبق، إنعدام تطبيق الأحكام الشرعية، التي تصدر عن القضاة ضد المخالفين لها، مثل عجز القاضي عن تنفيذ حكم التفريق بين زوجين، وذلك لأن الزوج ذو وجاهة و نفوذ، و هذا يدل على ضعف السلطة القضائية و قلة أحكام السلطة، و فساد الزمان، و سيطرة

الأعراب الحاكمين على زمام الأمور، وكل هذا ساهم في تفشي الظلم و الفساد و اللصوصية في المجتمع.

وبذلك سادت الفوضى، وأدى هذا الأخير إلى الوقوف في كل نهضة حضارية، وبذلك تدهورت الحياة الإجتماعية، و لم يكن إهتمام المجتمع إلا الوقوف أمام الإخطار المحدقة به، من غزو خارجي، و صراعات بين القبائل، و فوضى داخلية.

كان المجتمع الزياني يخضع للأعراف السائدة في الكثير من سلوكاته و هذا يظهر بشكل جلي في المجتمع البدوي الريفي، وهو من مميزات النظام القبلي، و يعود سبب هذا النظام العرفي إلى تمسك المجتمع بالتقاليد، و بالتالي تعتبر شيء مقدس لا يمكن بحال من الأحوال تجاوزها.

و يظهر العرف في كثير من نواحي الحياة الإجتماعية، مثل الزواج و مراحله من خطبة، و الجهاز و الوليمة و المولد النبوي، و الطلاق...الخ
ولعب العرف دور كبير في الحفاظ و على توفير الحد الأدنى للنظام الإجتماعي، و بالتالي هو القيم المتعارف عليها بين عناصر المجتمع.

كما نستنتج من دراستنا،أن المجتمع عرف تفسخ وتشرذم بين عناصره، وذلك راجع إلى تمزق وحدة الدولة الزيانية ،بحيث أصبحت كل قبيلة شبه مستقلة عن السلطة الزيانية.
و الشيء الذي أدى إلى هذا التفسخ هو الصراع بين القبائل البربرية و الهلالية، و ساعد على هذا، غياب سلطة الدولة الزيانية و ضعفها و هنا وجدت هذه القبائل الفرصة المواتية لفرض وجودها، ولعب دور و مهام الدولة الحاكمة، خاصة في إزدياد الإضطرابات و إنعدام الأمن.
وفي ضل هذا الوضع المتأزم وجد المجتمع ضالته في رجال الزوايا،الذين لعبوا دور السلطة الحاكمة في العديد من الجوانب الاجتماعية مثل رعاية الضعفاء والفقراء ،وتوحيد المجتمع لمواجهة اللصوص وغارات العرب ،وكذلك عقد الزواج والطلاق إلى غير ذلك من الجوانب الاجتماعية .

فهرست الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف السين

حرف العين

حرف النون

حرف الواو

فهرست الأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

فهرست القبائل و الأسر الحاكمة

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم،الحاء و الخاء

حرف الدال و الذال

حرف الراء و الزاي

حرف السين و الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الميم

حرف النون،الهاء،الواو و الياء

خطة البحث:

المقدمة:

الفصل الأول: التعريف بالمازوني وبكتابه

المراجع الأجنبية:

1) Chitour Chems Eddine, Histoire Religieuse D'algérie, ENAG édition distribution, Alger, 2001.

2) Dufourcq (ch, E), L'Espagne Catalone et le Maghreb aux XIII^{e} et XIV^{e} siècles, Paris, 1966.

3) LATRIE MAS, traites de paix et de commerce et document divers concernent les remations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale, ou moyen age, volume 2, Paris 1866-1872.

4) Messikh Mohamed Sadek, El Djazair la mémoire, éditions Rais Achevé d'imprimer en Tunisie, décembre 1997.

5) Richard (cape-ne), étude sur l'increction du Dahra, revue de l'orient 1846.

6) Voguet Elise, entre réalités sociales et construction juridique, le monde rural du Maghreb central d'après les « NAWAZIL MAZUNA » (X^{e}/XV^{e} siècle), sous la direction de madame François Micheau, volume 2, université Paris, 2005.

المصادر و المراجع:

1) المصادر

1- إبن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، بدون طبعة، جمهورية مصر العربية، بدون تاريخ.

2- إبن مريم (أبي عبد الله محمد بن محمد المديوني)، البستان في ذكر الأولياء و العلماء، بتلمسان، بدون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون تاريخ.

3- الإدريسي (أبي عبد الله الشريف)، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، تحقيق الأستاذ إسماعيل العربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1983.

4- التنبكتي (أحمد بابا)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، طبعة جديدة، فاس، المملكة المغربية، بدون تاريخ.

5- الأنصاري (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي)، نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، تحقيق محمد حجي و محمد الأخضر، جزئين، ط$_2$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

6- الرصاع (أبي عبد الله محمد الأنصاري)، فهرست الرصاع، التحقيق محمد العنابي، ط$_1$، المكتبة العتيقة، جامع الزيتونة، تونس، بدون تاريخ.

7- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية.

8- القلصادي (أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي)، رحلة القلصادي، بدون طبعة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

9- العبدري (محمد البلنسي)، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن حدو، ط$_1$، قسنطينة، بدون تاريخ.

10- المازوني (يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، 3أجزاء، تحقيق الدكتور مختار حساني، ط$_1$، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004.

11- مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، بدون طبعة، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر،1958.

2) المراجع

1- أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي، بدون طبعة، مؤسسة شباب الجامعة، الجزائر، 1997.

2- برنشفيك روبارت، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، التعريب حمادي الساحلي، ج$_2$،ط$_2$، دار الغرب الإسلامي، مصر، 1988.

3- بوطبل عبد القادر، تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي و الحاضر، بدون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986

4- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج$_2$، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، بدون طبعة، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1978.

5- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج$_2$،الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

6- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني و آثاره، ط$_1$ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1974.

7- حساني مختار، الدولة الزيانية من بداية الإنحطاط إلى السقوط، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث.

8- الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج$_1$، تحقيق محمد رؤوف القاسمي، موفم للنشر، الأنيس سلسلة العلوم، 1991.

9- سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، المجلد الثاني، بدون طبعة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

10- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج$_2$، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

11- سعيدوني ناصر الدين، ورقات الجزائرية في العهد العثماني، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، .2000

12- سعيدوني ناصر الدين و المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج$_4$، بدون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

13- سليماني، المشاريخ، ج$_3$،

14- شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون طبعة، بن عكنون، 1995.

15- الطمار محمد عمرو، تاريخ الأدب الجزائري، بدون طبعة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.

16- الطمار محمد عمرو، تلمسان عبر العصور، بدون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

17- العقاد صالح، المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر، ط$_6$، المكتبة الأنجلومصرية، مصر، .1993

18- عكاك عثمان، موجز تاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي بمراجعة مجموعة من الأساتذة، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003.

19- عميراوي أحميدة، فواصل من الفكر و التاريخ، دار البحث للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، 2002.

20- الفاوي عبد الفتاح أحمد، التصوف عقيدة و سلوكا.

21- مؤنس حسين، تاريخ المغرب و حضارته، ج$_2$، المجلد الثاني، ط$_1$، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت لبنان، 1992.

22- مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط$_1$، دار الفكر للطباعة و النشر، لبنان، بدون تاريخ.

23- معريش محمد العربي، دليل الطالب في منهجية البحث و العرض التأريخيين، الطبعة الأولى، الرابطة الوطنية لإطارات الشباب، الجزائر، 1997.

24- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط1، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1971.

25- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

المجلات و الملتقيات

1- مولاي بلحميسي، نهاية دولة بني زيان، مجلة الأصالة، العدد: 26، 1975.

2- بلغيث محمد الأمين، مدرسة مازونة الفقهية و أثارها خلال القرن التاسع الهجري / 15م، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد:01، بن عكنون، 2002.

3- بوشرب أحمد، أزمات القرن 14 و دورها في تغيير ميزان القوى، أعمال الملتقى الدولي II عن إبن خلدون، مركز الحركة الوطنية،1986.

4- البوعبدلي المهدي، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي، مجلة الأصالة، العدد: 83-84.

5- البوعبدلي المهدي، مراكز الثقافة و خزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد: 11.

6- البوعبدلي المهدي، جهود الجزائر في موكب الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الأصالة، العدد: 19.

7- بوعمران سامية، الحضارة الإسلامية و الغرب في رأي المفكرين بني نبي و البجائي، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد: 01.

8- بوعياد محمود، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 9هجري، مجلة الأصالة، العدد 24، (مارس- أفريل) 1975، الجزائر.

9- بوعياد محمود، العلم و الثقافة بالمغرب الأوسط في القرن التاسع هجري / 15م، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد: 01، بن عكنون،2002.

10- حاجيات عبد الحميد، مخطوط نفيس لعبد الرحمان الثعالبي، مجلة الثقافة، العدد: 117-118، الجزائر،1999.

11- حساني مختار، الأحوال الثقافية في الدولة الزيانية، محاضرات الموسم الثقافي 1998 – 1999، الجزائر،1999.

12- الحصار ابن علي، تلمسان مدرسة كبار أساتذة الموسيقى الأندلسية، مجلة الجزائر في فرنسا، العدد 09، 2003.

13- الصد يقي محمد نجاة الله، نحو انبعاث الفكر الإسلامي و إزدهار الحضارة الإسلامية من جديد، الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية مارس 1974.

14- طالبي عمار، الونشريسي، الأصالة، العدد 83 – 84.

15- عميراوي أحميدة، الطرق الصوفية و السياسية، العدد 01، المجلس الإسلامي الأعلى، بن عكنون، 1998.

16 ط$_1$،قادري عبد الحميد،التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني الجلاب ،الملتقى التاريخي الثالث، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، متحف المجاهد، تقرت، أفريل 1998.

17- مزيان عبد المجيد، الكتاب و الحضارة، مجلة الأصالة، العدد: 08، السنة الثانية، ماي – جوان 1972.

18- النيفر محمد الشاذلي، دور الحضارة الإسلامية في نشأة الجامعة و تطورها، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، ج$_2$، وزارة الشؤون الدينية، باتنة، .1978

19- جريدة الأحداث، العدد: 905، الجزائر، 2005.